مكتبة نوميديا

كمال قرور

سيد الخراب

رواية

فيسيرا
Editions Vescera

وزارة الثقافة
ALGER

سيّد الخراب

ما جاء في جمهورية الخراب
للعلامة ابن خشد، ولم تذكره
كتب التاريخ والسير والجرائد الصفراء

الناشر: فيسيرا للنشر.
السنة: 2010.
عنوان الناشر: حي 200 مسكن. ع: 23 رقم 2 برج البحري.
الهاتف: 0779539342 / فاكس: 71 54 86 021
البريد الإلكتروني: oua_t@hotmail.fr
عنوان الكتاب: سيد الخراب
ما جاء في جمهورية الخراب للعلامة ابن خشد،
و لم تذكره كتب التاريخ والسير والجرائد الصفراء
الكاتب: كمال قرور.
الإيداع القانوني: 1099-2010
ردمك: 978-9961-9873-6-0
التصميم والغلاف: محمد بن قينـــة.

كمال قرور

سيّد الخراب

ما جاء في جمهورية الخراب
للعلامة ابن خشد، ولم تذكره
كتب التاريخ والسير والجرائد الصفراء

رواية

فيسيرا
Les Editions Vescera

فصل في رواية ماجـرى

أحبتي...

لكم ولكم فقط، أنتم الذين تقاطعت حياتنا في محطات شتى، وتلامست أرواحنا في مناسبات عدة. لكم أيها الأحبة. أحكي استثناء، حكاية القصة، أو قصة الحكاية. هذه الإضافة، لم تكن مبرمجـــة و لم تكن في الحسبان. نعـــم لم تكن تستحق كل هذا الجهد وهذا الاهتمام. لكني وجدتني مضطرا، كما لم أكن مضطرا إلى كتابتها في لحظة من اللحظات الماضية، لضرورة فنية في غاية الأهمية. حسب تعبير بعض المهتمين بفنيات الكتابة الذين عرضت عليهم المخطوط لإبداء بعض الملاحظات حولـــه قبل طبعه ونشره.

لست حكواتيـــا ولست روائيـــا، إنما أنا منذ تذوقت لـــذة المطالعة، قارىء مغرم بتلذذ القصص والحكايا والروايات. وكل ما ينسجه خيال البشر.

دأبت في السنوات الأخيرة -على غيرعادتي- على أن أقـــرأ فصولا بعينها من مقدمة ابن خلـــدون. استمتع. وأفهم أشياء كانت غامضة علي. اندهشت كيف لم أقرأها من قبل. لكن الدهشة سرعان ما تزول، لما أتذكر عبارة: لكل شيء أوان.

ومعها يزول القلق والأسف والحسرة. هذه النسخة الأنيقة الفاخرة الطباعة المكتوبة بخط جميل نسيت من أهدانيها. كنت طالبا في الثانوي. قال لي: ما دمت تحب القراءة احتفظ بهذا الكتاب جيدا. ليس مهما أن تقرأه وتفهمه الآن. حافظ عليه كما تحافظ على عينيك، سيأتي يوم تستفيد منه. اندهشت يومها لتصرف هذا الذي لا أعرف اسمه، ولا أتذكر ملامحه. اختفى فجأة منذ سلمني الكتاب. لكن نصيحته بقيت محفورة في طبقات ذاكرتي تكبر وتكبرمثل الدالية. لم أستطع يومها أن أقرأ صفحة كاملة من كتاب المقدمة. بدا لي صعبا وغامضا وصعب الفهم. كنت أكتفي بقلب الصفحات وأعبث بها ثم أعيده الى مكانه. الغريب، والمحير أن هناك كتبا كثيرة ضاعت من مكتبتي بسبب الإعارة إلى الأصدقاء والأقارب ولكن كتاب المقدمة بقي دائما بهيبته ولغزه على الرفوف. لم يستطع أحد أن يأخذه. أو يطوي صفحة بداخله، أو يمزقها، أو يمزق غلافه السميك، كما يحدث مع بقية الكتب الأخرى. كأن قوى خفية تحميه، أو كان يحمي نفسه بنفسه. ربما بهيبة سمكه وتجليده. ربما بسبب خطه الصغير المضغوط. ربما بسبب عناوين فصوله الغريبة.

في أن اختلاط الأنساب كيف يقع. في أن الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم. في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول. في انقلاب الخلافة إلى الملك. في أن الترف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها. في انتقال

الدولة من البداوة إلى الحضارة. في أن الدعوة الدينية من غير عصبيـــة لا تتم. في أن الأمم الوحشية أقدرعلى التغلب ممن سواها. إنـــه كتاب لغز محيـــر. هل يتحدث عن الاقتصاد؟ أم المجتمع؟ أم السياسة؟ أم الفلسفة؟ أم الديـــن؟ أم الأدب؟ أم يشمل كل مجالات المعرفة؟ حتى في سنوات غيابي عن البيت لم يستطع أحد أن يلمسه أو يأخذه. ربما استطاعت يد أحدهم أن تفتحه وتقلب صفحاته ثم تعيده الى مكانه سالما بعد أن قرأ سطرا أوسطرين أو فقرة أو صفحة كاملة.

كنت أقرأ في العام الماضي، بعض الفصول من الكتاب، وقد أصبحت أفهم أكثر، أو هكذا بدا لي، لغة وأسلوب وفكـــر ابن خلدون، مستعينـــا بما كتبه بعض الكتاب في جانب من الجوانب التي عالجها ودرسها وحللها. استوقفني فصل غريب عنوانه: «في أن الظلم مؤذن بخراب العمران». قرأتـــه بتمعن وحذر وخوف. أعدت قراءتـــه مرات بكل تمعن وبكل حذر وبكل خوف. أصبح ذلك ديدني أسابيع كاملة.

القصة العجيبـــة التي سأحدثكم عنها، كتبتها وبقيت كل حين أكتبها. صراحة لست أدري متى أفرغ منها، أو تفـــرغ هي نفسها مني. حـــدثت لي بسببها حكايات أقـــل ما يقال عنها طريفة وعجيبة وغريبة. وجدت هذا الفصل من مقدمة العلامة ابن خلدون كأنـــه فصل من فصولها أو يشير إليهـــا من قريب أو بعيد. أو يحمل سرا غريبا من أسرارها.

أحبتي. أتمنى أن تقرأوا هذا الفصل الذي أشرت إليه من المقدمة كما قرأتـــه وإن كنت أعرف مسبقا أنه قد لا يثـــير فضولكم. مثلما أثار فضولي وقد لا يثير اهتمامكم مثلما أثار اهتمامي وقد لا يثير دهشتكم مثلما أثار دهشتي.

يقول العلامة ابن خلدون رحمه الله في المقدمة في فصل بعنوان: في أن الظلم مؤذن بخراب العمران.

« اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء نسبتـــه يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فإذا كان الاعتـــداء كثيراعاما في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها وإن كـــان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبته والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانتقضت الأحوال وابذعر الناس في الآفاق من غير تلك الأيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فخف ساكن القطر وخلت دياره وخرجت أمصاره واختل باختلال حال الدولة والسلطان لمـــا أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي

في أخبار الفرس عن الموبذان صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان البوم حين سمع الملك أصواتها وسألـــه عن فهم كلامها فقال له ان بوما ذكرا يروم نكاح بوم أنثى وأنها اشترطت عليه عشرين قريـــة من الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها وقال لها إن دامت أيـــام الملك اقتطعك ألف قرية وهذا أسهل مرام فتنبه الملك من غفلته وخلا بالموبذان وسأله عن مراده فقال له أيها الملـــك إن الملك لا يتم عـــزه إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيـــه ولا قوام للشريعة إلا بالملك ولا عـــز للملك إلا بالرجال ولا قـــوام للرجال إلا بالمال ولا سبيـــل إلى المال إلا بالعمـــارة ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل والعدل والميـــزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك وأنت أيها الملك عمدت إلى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال واقتطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسمحـــوا في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع فانجلـــوا عن ضياعهم وحلوا ديارهم وأووا إلى ما تعذر من الضياع فسكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلّت الأموال وهلكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع

الموارد التي لا تستقيم دعائم الملك إلا بها. فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من أيدي الخاصة وردت على أربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت الأرض وأخصبت البلاد وكثرت الأموال عند جبـــاة الضرائب وقويت الجنود وقطعت مواد الأعداء وشحنت الثغـــور وأقبل الملك على مباشرة أموره بنفسه فحسنت أيامـــه وانتظم ملكه فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب للعمران وأن عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض..».

أحبتي. فرغت من قراءة هذا الفصل من مقدمة ابن خلدون عدة مرات وشعرت عندئذ أن ما كتبته منذ سنوات من فصول الرواية التي سأحدثكم عنها ليس كلاما خاليا من أي معنى أو مغزى. أي ليس مجرد خيال أو أضغاث أحلام. الآن أصبحت أعي قيمته وخطورته.

الذين كانوا يحذرونني ويطلبون مني تمزيق أو حرق الصفحات وعدم نشرها في الصحافة أو إذاعتها على الناس، كانوا جادين ولا يمزحون أبدا.

شعرت كأني وشخصا آخر قرأنـــا هذا الفصل الخلدوني الخالد بنفس الاهتمام وبنفس التحليل ونفس الخوف على مصير الجمهورية. هل هناك أحد يملي علي ما أكتب دون أن أدري؟ هل أنا تحت تأثيرتنويم مغناطيسي دون أن أعلم؟ ماذا

يحدث؟ الآن أشعر أن هذا الذي يحدث ليس اعتباطا. منذ هذه السنوات والأمور تجري على نفس الريتم. كتابة فتأجيل. تأجيل فكتابة. تحذير فاصرار، تراجع فإقدام.

بربكم أيها الكتاب الأعزاء أصدقوني القول: هـــل حدث معكم وأنتم تكتبون قصصكم ورواياتكم، شيء من هذا القبيل؟ أو شيء يشبهه؟

فصل في تنبيـه الخائف

أحبتي...

اكتشفت بعد سنوات، بذور هذه القصة التي سأحدثكم عنها في قصة قصيرة عنوانها «المسغبة» كتبت في جوان 1988. أي قبل أحداث أكتوبر الأليمة التي خرج فيها المواطنون في أرجاء الجمهورية لمطالبة السلطة بحرية التعبير وتحسين المعيشة، فواجهتهم بالقمع والرصاص قبل أن تبـــادر بفتح المجال السياسي لتعدد الجمعيات السياسية كما يصفها دستور البلاد. والشروع في إصلاحات لوضع حد لأي هزات اجتماعية واقتصادية محتملة.

استيقظت باكرا في ذلك الصباح الصيفي من نومي فزعـــا مرعوبا. أتصبب عرقـــا. في تلك اللحظة المجنونة المشهودة وجدتني أبحث في أدراجي عن أوراق لتدوين ما خطر ببالي من تفاصيل تلك القصة العجيبة. هل أكذب عليكم وأقول أنـــا من كتب هذه القصة. صراحة هذا الشرف الكبير لا أدعيه. قرأت في ذلك الصباح القصة على أحد أساتذتي في رواق الجامعة. كان يدرسنا تاريخ الحضارات. معروف بمطالعاتـــه الغزيرة ومعرفته بتاريخ الشعوب وديانـاتها وتراثهـــا. كان لا يهتم كثيرا، مثل بقية الأساتذة، بهندامه وهيأته بقدر ما يهتم

بكتبه النادرة النفيسة. تراه يتأبطها أوغارقا بين صفحاتها في أوقات الفراغ. بدت علامات الإرتباك والخوف على محيـــاه لما سمع كلامي. لكنه سارع يسألني: أين وجدتها؟ قلت دون أن أفهم قصده: استيقظت من النوم ووجدتني أدونها دفعـــة واحدة على الورق دون توقف. قال لي مترجيا وهو يبدي لحوي عاطفة أبوية دافئـــة: أحرقها يا ولدي، ولا تطلع أحدا عليها، وإلا عرّضت نفسك للخطـــر. لم أفهم شيئا. كنت عنيدا. عصيت أمـــر أستاذي. لم أحرق القصة كما وعدته. سألني عنها في الغد. اضطررت للكـــذب. قلت له: أحرقتها. بدت على ملامحـــه علامات الرضى.

كنت أتحدث الى جارنا، بعد أسبوعين من هذه الحادثـــة، وهو شاب مثقف له ميول دينية إخوانية، يهتم كثيرا بالكتب القديمة وأحيانا يعيرني بعضها لمطالعتها. حدثني في أحد لقاءاتنا عن كتاب سري تبحث المخابرات عن نسخة فريدة منه.

يقال أن كاتبه لما فـــرّ من البطش قبل اختفائـــه اضطـــر إلى قراءته كاملا بصوت جهوري في الطبيعة آملا أن يلتقطه أحد المتعلمين في أي مكان وفي أي زمان عن طريق التليباتي. قلت له متحمسا وشغوفا: ماذا يوجد في هذا المخطوط؟ قال: هذا مخطوط كتب في نسخـــة واحدة ووحيدة مفقودة منذ قرون طويلة يتنبـــأ فيه أحد الفلاسفة العقلانيين المتنورين بما سيقع من أهوال في جمهورية فاسدة بدقة عجيبة. بدأ يسرد

على مسامعي ما سيحدث. قلت له: لا تكمـــل.. سأذهب إلى البيت وأعود إليك ببعض التفاصيل. قرأت عليه القصة. قال وعلامات الخوف بادية عليه: أين وجدت هذه التفاصيل؟ هل تملك الكتاب الذي نقلت منه هذه التفاصيل. سردت عليه القصة كاملة. لم أزد عليها شيئا. قال لي: الأمور ما تعجبش. هذا جزء مما جـــاء في الكتاب المفقود. إذا نشرتهـــا ستساق إلى التحقيق ويكون مصيرك السجن والتعذيب و... اعترف لي لأول مرة أنه ضابط في الجيش، سرح من الخدمة بسبب إدمانه على قراءة الكتب وخاصة القديمة منها. عدت إلى البيت وأنا أرتجف من شدة الخـــوف. لكني لم أمزق القصة كما أمرني. فقط أخفيتها في محفظتي القديمة الخاصة بالأوراق وقصاصات الجرائد التي أحتفظ بها عادة لأهميتيها، حتى لا تسول لي نفسي إخراجها مرة أخرى أو محاولة نشرها تحت أي دافع.

أحبتي..

أنا لم أخترع القصة أو أدعي أن عبقريتي كتبتها. مثلما قلت في البداية صادقا. فقط. استيقظت من نومي وسجلت ما خطر ببالي وعدت إلى النوم. أبدا لم أدع أني تنبأت بمـــا سيحدث في الجمهوريـــة. صراحة كنت أشعر أن الأمـــور ليست على ما يرام. هذا كل ما في الأمر. ولذلك تحركت في أعماقي غريزة الخوف. أشفقت على نفسي و لم أتجـــرأ على نشر القصة. تجنبا لأي مكروه يصيبني.

في سنة 1996 وجدتها زوجتي في محفظتي القديمة، مع صورة ورسالة لإحدى الصديقات. الصورة فيها رومانسية والرسالة تقطرعشقا وعتابا. كان ذلك في السنة الأولى من زواجي. كنت أوثرالصمت والعزلة والانطواء. يكون الفضول دفع زوجتي، لتعرف ماضي الرجل الذي ارتبطت به وهي لا تعرف عنه شيئا. غالبا ما يكون ماضي الرجل في أوراقـــه وأرشيفه القديم. الحمد لله أنها قرأت القصة، فأنستها ما وجدت من أرشيف يدينني ويكشف بعض تفاصيل ماضي النضالي في العشق والغرام، قد يحرجها أو يغضبها. تفاجأت وهي تسألني: ماهذا؟ قلت لها: هذه رسالة من فتاة كانت بيننا علاقة حب عابـــرة وتلك صورتها. قالت هذا مفروغ منه. الرجـــل الذي لا يعرف امرأة قبل الزواج مشكوك في رجولته. سبحان الله.. لم أصدق. هذه فلسفة متفتحة ومتفهمة. تستحق كل الاهتمام. قلت: أي امرأة هذه التي لا تغـــار ولا تغضب من ماضي زوجها النسائي؟ قالت وكأنها فهمت ما يدور في رأسي: لقد جربت الحب قبل الزواج وإذا كنت قادرا فلتجربه بعد الزواج وسترى الفرق الكبير. قلت لها مثـــل الطفل المؤدب: حاضر سأفعـــل يا سيدتي. لكنها فاجأتني بقولها: قرأت هذه القصة، أين وجدتها ولماذا تحتفظ بها؟ حمدت الله على أن أمر الصورة مـــر بسلام. وجنبني الإستنطاق الروتيني، ولكني تـــرددت

في الإجابة عن أسئلتها المتعلقة بالقصة. قلت لها بعد تردد:هذه القصة عجيبة يطول شرحها، عندما يحين الحين أحدثك عنها. لكني فوجئت بها تتبسم وتقول لي: حسنا..

سلمت القصة إلى نوارة لحرش سكرتيرة الجريدة التي كنت أصدرها يوم ذاك، وكانت سكرتيرة مثقفة وذكيـــة تكتب الشعر ومن حين إلى حين تساهم في بعض أركـــان الجريدة، ومع الوقت أصبحت صحفية ماهرة. حاورت أشهـــر الكتاب دون أن تغادر بيتها. لما أكملت تصفيفها قالت لي لا تقل لي يا أستاذ أنك تنوي نشرها مسلسلة على صفحات الجريدة؟ قلت متحمسا لاقتراحها و لم تكن نيتي كذلك: إنها فكـــرة جميلة. قالت: حذار. لا تفعل وإلا عرّضت نفسك لمكروه. وقطعت رزقنا من هذه المهنة التي نقتات منها. شعرت بالإرتباك والرعب يتسللان إلى أعماقي ويشلاّن حركتي. تذكرت تحذير أستاذي في الجامعة وجارنا الضابط المقال من الجيش وتساؤل زوجتي المحير. صراحة خفت على نفسي وعلى أرزاق الذين يعملون معي. لم أنشرها. قررت ذلك بيني وبين نفسي بعد أن راجعت تحذير السكرتيرة. لكني كنت كل مرة أعود إلي الرواية. أكتب كل ما تمليه علي هذه القوة الخفيـــة، دون أن أدري ما أكتب. أكتب وأكتب. في هـــذا الفصل، وأنتقل إلى آخر. أطـــور شخصية وأنقل شخصية أخرى إلى مكان آخر أراه مكانها الأصلي تشعبت الأمور و لم أعد أدري ماذا

أكتب، أو كيف أكتب، في غياب السيطـــرة على الأحداث والشخصيات. بعد عشر سنوات عرفتني نوارة على صديقتها فاتنة الشاعرة الفلسطينية. لما قرأت علينا قصيدتها حالات، إنتابتني حالات شتى لم أستطع القبض على تفاصيلها. نسيت الموضوع أو حاولت نسيانه. غادرت فاتنة إلى القاهرة حيث تزاول دراستها العليا. كأن شيئا لم يكن. إلتقينا -صدفة بعد أشهر- على الفايس بوك. ما زالت فاتنة تذكـــرني. حسبتها نسيتني. أخبرتني أنها تركت دراستها في القاهرة وطلبت اللجوء إلى بلجيكا. قلت لها: أريد قصيدة حالات. ضحكت وقالت: كنت أعرف أنك تريدها. بعثت لي فورا نسخة إلكترونية من ديوانها. اطلعت متلهفاعلى القصيدة. تفاجأت أنها تتحدث عن امرأة أعرفها جيدا. هذه المرأة ليست إلا نطفة بنت الشيخ الأخجاني بطلة الرواية.

في سنـــة 2000 حدثت لي مشاكـــل في عملي. أوقفت السلطات الأمنية صحيفتي بسبب مقال أعترف اليوم وبكل أسف أنه غير لائق نشرتـــه على صفحاتها، وتحملت تبعاته بكل مسؤولية. شمع مخبرو الشرطة المقر وصادروا كل ما وجدوه داخل المكتب بما في ذلك جهاز الماكينتوش الذي نخزن فيه أعداد الجريدة وكل أرشيفها والنسخة الوحيدة من الرواية التي أصبح عنوانها «وقائع سنوات فنطوش».. قادني المخبرون إلى مخفر الشرطة للتحقيق. وأنا معزز بالحراسة المشددة وكأني

مجرم خطير. فتشوا الجهاز باعتباره أداة الجريمة حسب تعبيرهم. وجدوا المقال الذي بسببه أوقفوا الجريدة عن الصدور.. ولأني كنت صريحـــا ومسؤولا أعترفت بأني من كتب المقال وكنت في كامل قواي العقلية ولم يملـــه أحد علي.. ولأن المقال كان طريفا وفيه نقد لاذع للسلطة وللشعب، كان المخبرون يضحكون ملء أشداقهم وهم يستمعون إلي وأنـــا أقرأ دليل إدانتي بصوتي. ويقولون والله معك حق.. لم تكن مخطئا أبدا. ولولا إجراءات المهنة الردعية لتركناك تعود إلى البيت في الحين معززا مكرما. لم أفهم. هل هم مقتنعون بما كتبت أم هذا أسلوبهم في التحقيق؟ تشجعت وقلت لهم: سأقرأعليكم شيئا آخر مما أكتب هو أطرف من هذا.. قال لي أحدهم: هذا ما كنا نريده منك. بحثت بنفسي عن الملف، ولكن يا للمفاجأة. الملف غير موجود في المجلد الذي أعتدت أن أضعه فيه، لا أثر له. بحثت في مجلدات أخرى لا أثـــر له. جربت البحث الأوتوماتيكي، لا أثر له أيضا. كأن يـــد الجن امتدت إليه وحذفته. لم أكن أعرف أن ما كنت أبحث عنه سيقودني إلى حبل المشنقة. الأمن يبحث عن القصة وأنا بكل سذاجتي غافل.. حكمت علي المحكمة بستة أشهر غير نافذة. لتغير حياتي ووجهتي. كانت فرصتي الثمينة لتطليق الصحافـــة وإعلان مرحلة من عمري التعيس. والاشتغال بالتجارة طلبا للرزق. انقضت ست سنوات من العزلـــة والانطواء والوحـــدة، جاءني ذات صباح

موزع البريد وسلمني رسالة مجهولة المرسل. صراحة كانت رسالة غريبة غير مرتقبة. لما فتحتها وجدت فيها قرصا مرنا، فازدادت حيرتي. من أرسل القرص وماذا يحوي في داخله؟ أسرعت إلى الكومبيوتر لأجرب فتحه. وجدته غير قابل للفتح لأن نظام «ماكينتوش» MAC يختلف عن نظـــام «البيسي» PC الجديد الذي سيطر بقوة على أسواق الإعلام الآلي في المدة التي غادرت فيها عالم الصحافـــة. حاولت فتحها في كل مكاتب خدمات الإعلام الآلي فلم أفلح. كلهم غيروا نظام «ماكينتوش» MAC بنظام «البيسي» PC. تذكرت بعد أسابيع البخوش مخرج جريدتنا لا شك أنه مازال يستعمل نظام «الماك» MAC دون شك مازال وفيا للنظام المكتبي القديم. هو من ينقذني من هذه الورطة. كنت محقـــا. مازال البخوش الوحيد الذي يستعمل «الماك» MAC في المدينة. فتح لنفسه بعد توقيف الجريدة مكتبا يقدم فيه خبرته في مجال التصفيف والتصميم والإخراج والإشهار للمحلات المختلفة والمطابع ودور النشر. فتحنا القرص بسهولة. كان يحمل نص القصة «وقائع سنوات فنطوش» الذي اختفى من القرص الصلب لجهازي منذ ست سنوات. قرأت محتواه بسرعة لم أصدق أني كتبت تلك الصفحات واختلقت تلك الأحداث وتلك الشخصيات. صراحة تفاصيل كثيرة لم أصدق أنـــي كاتبها أو أعرف عنها شيئا.

في سنة 2006 أعدت قراءة القصة من جديد وتعرفت على أحداثها وشخصياتها. أقسمت صادقا بأني لست من كتب ما جاء فيها. بدأت أعيد صياغة القصة وأنا تحت صدمة الخوف التي ما زالت تتبعني منذ كنت طالبا في الجامعة. بكل روح رياضية قلت لنفسي: سأسجنها في الحاسوب ولن أنشرها حتى لا تقودني إلى غياهب الهلاك..

في سنة 2008 عزمت على التخلص من هذا الكابوس المرعب. فكرت في حرق هذه الصفحات المزعجة أو محوها مباشرة في الجهاز حتى لا أترك أثرا. لكني لم أستطع للأسف. كأن قوة خفية، حالت دون فعل ذلك ودفعتني لإعادة كتابة فصول القصة من جديد، ليصبح كل فصل مستقلا في شكل قصص قصيرة لينشر على صفحات الجرائد ومواقع الأنترنيت، كانت فكرة بوذية جيدة، أحرق جسد هذا النص وأرمي برماده في وسائط إعلامية متفرقة، لأتخلص منه ومن أعبائه، وأضمن بقاء روحه للأجيال، وأجنب نفسي عقابا محتملا، ظل يتأجل سنة بعد سنة.

في هذه السنة، فزت بجائزة مالك حداد للرواية برواية التراس. كانت الفكرة قد راودتني لتقديمها للمسابقة لكني تراجعت في نهاية المطاف بعد أن رأيت في المنام فوزي برواية التراس. شرعت أكتب هذه الرواية الفائزة، وأحول القصة إلى قصص قصيرة لأضمن نشرها دون تحمل تبعاتها وأعباءها.

لم أفكر يوما في كتابة رواية فما بالك في التفكير بأن أصبح روائيا. قال لي الخيـــر شوار وهو أديب وصحفي بالجزائـــر نيوز ومعد الملحق الأدبي الأسبوعي لجريدة اليوم وكان يشتغل معنا في الجريدة المتوقفة: أنت في الطريق الصحيح. أعرف أنك كنت تكتب منذ سنوات القصة القصيرة، لكنك توقفت مدة بعد انشغالك بالصحافة وظننتك دخلت مسابقة مالك حداد بالرواية التي كنت تحتفظ بها في حاسوبك، وقد دخلت عالم الشهرة الأدبية من باب الروايـــة بروايتك التراس. أنت لم تحدثني عنها من قبل. لكني قرأتهـــا في الحاسوب وأضفت إليها بعض التفاصيل والشخصيات، هـــل نسيت أني كنت مكلفا بالتصحيح، بالإضافة إلى عملي الصحفي.

صراحة لم يفاجئني كلامه. لكني تعجبت كيف لم أنتبه إليه من قبل. كان العفريت يقرأ أفكاري بشكل عجيب وغريب. حتى نبوءاته في غالب الأحيان تصيب ولا تخيب ولذلك كنت أداعبه في جلساتنا الحميمية قائلا: بركاتك سيدي الخير. طبعا هو من أخذ القرص واختفى وأنقذني من حبل المشنقة. كنت يومها أردد في سري: ربي يستر إن اختفـــاء الخير المفاجيء لا يبشر بالخير. بعد شهر تقريبا صادرت السلطات الجريدة وقدمتني للمحاكمة.

انتبهت إليه وهو يقول لي: إنه زمن الروايـــة يا صديقي، يمكنك أن تفجر قنبلتك في أي موسم تشاء.

لم تكن في نيتي، مثلما قلت سابقا، أن أكتب رواية في حياتي. حتى رواية التراس التي فازت بجائزة مالك حداد صنفها المتابعون للأدب بأقصر رواية وعلق عليها الناشراللبناني المرح بشار شبارو لما قابلني أول مرة في معرض الكتاب:

- عجبا لكاتب بهذه القامة الطويلة يكتب أقصر رواية؟

كنت قد أعدت صياغة فصول الرواية في شكل قصص قصيرة مستقلة لأنشرها في كتاب مستقل حتى لا تثير الشبهة، ولا تسبب لي المشاكل. أرسلتها بالبريد الإلكتروني إلى رئيس القسم الثقافي لجريدة الخبر. أكد لي، بعد أن اطلع عليها، أنها تجربة متميزة وفيها رائحة روايـــة. إقترح علي أن ينـــوه بها في الصفحة الثقافية. كنت خائفا من نتيجة التنويه. ترجيته أن لا يفعل. لكني لم أشرح له الأسباب. امتثل لرجائي. لم يكتب عنها وهو مشكور على ذلك. نفس مجموعـــة القصص التي عنونتها: «الشعوب التعيسة في الجمهوريات البئيسة» سلمتها إلى الصديق الأديب محمد مدير الثقافة لتنشر في إطـــار برناج دعم وزارة الثقافة للكتاب. بعد حوالي شهر التقينا في المديرية فأخبرني قائلا: من حسن حظك أني كلفت بقراءة مجموعتك القصصية، في إطار لجنـــة القراءة التي شكلتها الوزارة. إنهـــا قصص طريفة وممتعة وفيها أجواء روائية. قلت له: إنه مشروع مؤجل لرواية عجيبة وغريبة. كان هو من دفعني إلى إعـــادة التفكير في كتابتها مهما كان الثمن.

بعد أيام أرسلت فصلا مستقلا من فصول الرواية عن طريق الأنترنيت إلى صديقي حكيم في كولورادو بأمريكا. نبهني إلى بعض الملاحظات الفنية و لم يخف إعجابه بما جاء في الفصل ولكنه أعاد على مسامعي الموال نفسه الذي ظللت أسمعه منذ سنوات: إذا قررت أن تنشر روايتك لا تستعجل، وإذا كنت مصمما، أنشرها خارج البلاد في دور النشر اللبنانية وإلا سببت لك المشاكل.. قلت له:

المهم الآن قررت أن أجمع عظامها وأنشرها، داخل الوطن أو خارجه لا يهم. المهم كما قال التراس علي أن أسكن الرعب الذي سكنني منذ عشرين سنة.

في بداية سنة 2009 رأيتني في ليلة من الليالي في المنام معلقا في شجرة من إحدى خصيتي وأنا أتألم كثيرا. بعد يومين، دخلت المستشفى الجامعي بسطيف بسبب فيروس خطير هاجم خصيتي اليسرى أقعدني في المستشفى أحد عشر يوما تحت المراقبة الطبية وفي البيت حوالي ثلاثة أشهر للراحة. فرض علي الأطباء البقاء في البيت، والتوقف عن الحركة. لأن حسبهم هذا دوائي الوحيد حتى يخرج الفيروس بعد تناول المضادات الحيوية الخاصة به. كانت فرصة، لأول مرة أتفرغ لإكمال القصة العجيبة. شرعت أكتب ليل نهار أكمل بعض الفصول وأعيد ترتيب بعضها، وأطور بعض الشخصيات وأضيف بعضها وأحذف بعضها الآخر. عشرون يوما كانت

كافية لأقطع شوطا كبيرا في كتابة هذه الرواية اللغز، وأحاول أن أجمع بعض تفاصيلها العجيبة، رغم ضياع بعض فصولها. بينما كنت أراجع ذات ليلة أحد الفصول، حتى وجدت الصفحة تهرب مني وتختفي. من على سطح شاشة الكمبيوتر. لم أفهم في البداية ماذا حدث. سارعت الى غلق الجهاز دون أن أدري أني سأقوم بحماقة تكلفني غاليا. لما أعدت تشغيل الجهـــاز. بحثت عن الملف فلم أجده. حاولت مـــرارا. كان الفشل حليفي. استعنت بخبرة بعض الأصدقـــاء المختصين في الإعلام الآلي، منهم من حضر إلى البيت ومنهم من قدم لي استشارة عبر الهاتف، أو عبر الأنترنيت لكن لم نفلح. تفاجأ الجميع كيف لا أحفظ ما أكتبه في القرص أو الفلاش حفاظا على العمـــل من أي تدمير. أكـــد لي الجميع أن الفيروس هو السبب، لكن أي فيروس هذا؟

يا للعجب فيروس يهاجم خصيتي وآخر يهاجم رواياتي.

شيء لا يصدق. كل البرامج المستعملة لاسترجاع النصوص لم تفلح في استرجاع القصة وخاصة أن نصوصا أضفتها في هذه المدة لم تكن موجودة من قبـــل، ولن أستطيع تذكرها مهما حاولت كتابتها مرة أخرى. ولكن في الأخير بعث لي أخي عبد الهادي من باريس وعبر الأنترنيت برنامجـــا متطورا لاسترجاع النصوص، حاول هشام أخي الصغير مرة مرتين وأكثر. بلا فائدة. كنت قد يئست فهربت إلى التلفزيون لمتابعة

فيلم السهرة. كنت قد نسيت هم النص الهارب مع أحداث الفيلم، حين سمعت هشام يصيح بأعلى صوته: وجدته.. وجدته .. لقد عاد يا للمفاجأة. بقـــدر ما كنت أريده أن يعود، تمنيت لو لم يعد ليريحني من العذاب. لم أستطع أن أحدد مشاعري في تلك الليلة ويبدو أني بكيت، لست أدري هل فرحا أم حزنا.

صدقوني اختلطت علي الأمور.

في نهاية سنة 2009 أرسلت الرواية إلى الصديق الشاعـــر الأستاذ عاشور فني بعد أن ناقش رسالة الدكتـــوراه وكنت قد أرسلت إليه فصلا من فصولها لكنه لم يعـــره اهتماما نظرا لانشغاله بالرسالة الجامعية. بعد أن قرأها أرسل إلي رسالة إلكترونية كون فيها بعض الملاحظـــات وهاتفني يهنئني بأن القصة أعجبته وعلي أن أعيد ترتيب بعض الفصول حسب رأيه لتصبح الحبكة أكثر إثارة وتشويقا. ونصحني بتغيير عنوانها من سيد الخراب إلى جمهورية الخراب! قلت له: إن كتـــاب ابن خشد الذي كتبه وكلفه حياته عنوانه جمهورية الخراب! والمخابرات تبحث عنه منذ مدة ولم تعثر عليه! وهناك من يعتقد أنه عندي! وأنا أنسخ منه رواية سيد الخراب لأن هناك تطابقا وتماثلا في الأحداث والشخصيات. ولهذا تجنبت هذا العنوان وفضلت عنوان سيد الخراب خوفا من الرقابة أن يحدث لي معها ما حدث لفيلسوف الجمهورية ابن خشد.

فصل في ظهور سيد أحمد الرفاعي

أحبتي...

قرأت هذه القصة العجيبة صباح اليوم في صحيفة يومية. لم أصدق ما قرأت. إنه شيء يشبه الخرافات ولكن المراسل الذي نقل الحادثة أكـــد أن ما حدث لم يكن من نسج الخيال للتلاعب بعقـــول القراء لرفع سحب الجريدة. كـــان حقيقة لا تشوبها الشوائب.

فجـــأة ظهرشبح شيخ غريب الأطوار في وسط مدينة من مدن الجمهورية. لكن آثـــار التعب والسفر لم تظهـــر عليه. كان في كامل لياقته البدنية ونشاطه. كما كان في كامل زينته وبشاشته وفي كامل قواه العقلية، حسب اعترافـــات طبيب نفساني بطال، أدلى بها في مخفر الشرطة، كان شاهـــدا على ما حدث في ذلك اليوم المشهود.

كان فضول الناس وضجرهم من الخطب السياسية للحاكم الجمهوري والأحزاب الديماغوجية وللجو العام اليائس البائس للجمهورية دافعا للالتفاف حول الغريب بأعداد هائلة: شيوخ أطفال، مراهقون، نساء متزوجات، مطلقات، أرامل، عوانس،

شباب طائشون، مخنثون، لوطيون، خوانجية ملتزمون، تجار، حلاقون، خضارون، عشاق، فضوليون، أساتـــذة مدارس، جامعيون، أئمـــة، رياضيون، إداريون فاسدون، مرتشون، شكلوا حوله حلقة كبيرة مثل حلقة الحكواتي. قالـــوا جميعهم بصوت واحد:

- احك أيها الشيخ الغريب حكايتك. احك ما تحملـــه من قصص وغرائب لا شيء يشغلنا. علينا أن نقتل الوقت مثلما يقتلنا في هذه الجمهورية التعيسة. نحن قوم لا نأكل لنعيش. إنما نعيش لنأكل. نأكل القوت وننتظر الموت الرحيم. نحن ننتظر بصبر موت هؤلاء الشيوخ الذين يحجزون مناصب العمل ويتحكمون فينا منذ فجر البترول. لا يمرضون. لا يهرمون. لا يستقيلون. لا يتقاعدون. لا يموتون.

كان الشيخ الغريب ذا قامة مهيبة، ممتلىء الجسم. أسمـــر البشرة. يلبس لباسا كرنفاليا جمع بين التقليدي والحداثي يثير حفيظة وإعجاب الرائي. زادته طرافـــة، عمامته الكبيرة التي تشبه صحنا طائرا. نبتت شعيرات خفيفة على ذقنه وخطها الشيب، وكانت عينه اليسرى تبدو وكأنها مقسومة.

قال الشيخ الغريب: اسمي يا سادة يا حضار: سيد أحمد الرفاعي. ولدت سنة 1704 ميلادي الموافق لـــ1125 هجرية. تزوجت خلال القرون الثلاثـــة 199 زوجـــة. فيهن عائشة وآمنـــة وفاطمة وزليخة وخـــيرة وحيزية والجازيـــة وصفية

وحليمة والضاوية وربيحة وسعدية وسليمة وسميـــة وعقيلة. ولي منهن ذرية لا تعد ولا تحصى. تفرقت بإذن الله في الأرض مشرقا ومغربا.

قال عزاب الجمهورية:

يا له من شيخ محظوظ النكاح..

أكد الشيخ الرفاعي للحاضرين أنه قادم من ولايـــة دارفور السودانية، حيث قطع المسافة الطويلة في ظرف خمس دقائق، وأن له في كل منطقة يزورها اسما. ومن أسمائه مولاي قباني، سيدي العيفة. الحمادي، بن سعيود، الحفصي. بن سحنـــون. وادعى أن لـــه 999 اسمـــا وأن أسمـــاءه مذكورة في الكثير من الكتب الدينية والتراثية المكدسة في مكتبات المساجـــد والزوايا وكتاتيب تحفيظ القرآن.

قال بعض الخوانجيـــة الملتحين: إذا كان الله له 99 اسمـــا ما بال الشيخ الرفاعي له 999 اسما. إنه لغريب حقا ويستحق الإصغاء، «نتبع الكذاب حتى باب الدار».

زعم الشيخ الرفاعي أن الجنـــرال سوار الذهب صديقـــه، وأن له علاقات صداقـــة مع شخصيات عربية وغربية مثل الراحل هواري بومدين والشهيد سيد قطب والخميني ويوحنا بولس الثاني، وجيمي كارتر وآل بوش والرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل والسلطان قابوس والزعيم الليبـــي معمر القذافي، والشيخ زايد ومحمد الخامس والجنرال ديغول، وإبراهيم لينكول

وموسيليني وهيتلر وستالين والمهاتما غاندي زعيم الهند، الذي يقول أن أصوله عربية من اليمن، مدونـــا وقفات وذكريات معهم في سجل يحمله معه حيث ذهب.

قال بطالو الجمهورية :

لا شك أنه يملك مالا وفيرا.. هذا قارون العصر.

قال الشيخ الرفاعي: تتلمذت على أربعين ومئة من الشيوخ والعلماء وفي جوامع مختلفة وجامعات متعددة مثل جامع القرويين وجامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع قرطبة وجامع اسطمبول. كما درست وحاضرت في جامعات عالمية مثل طوكيو وأمريكا وموسكو وبريطانيا وهولوندا وإيطاليا والأرجنتين والبرازيل.

قال حاملـــو الشهادات الجامعية: «اللي قرا قرا بكـــري.. واللي قراو واش دارو».. العلم غير مهم في هذا الزمان.. تعال نعطيك شهاداتنا لتمسح بها مؤخرتك. أو تتدفأ بها في الشتاء القارس. قال الشيخ الغريب:

في العاشرة من عمري كنت أرى الجان في عز النهار. وفي العشر سنوات الثانية حفظت القرآن الكريم وكل الأحاديث النبوية صحيحها وضعيفها. وحفظت صحيح البخاري ومسلم والأجرومية ومتن ابن عاشر وكتاب سيدي خليـــل. أعرف الجن بأسمائهم الجن الأحمر والجن الأزرق والجن الأبيض. أعرف مدنهم وقراهم وخرائبهم. بيني وبينهم عشرة ومصاهرة. تزوجت «شمهاروشة» ابنة الجان «شمهاروش» وعشت معها

أجمل أيام حياتي. بقيت متخفيـــا مع الجن في باطن الأرض ثمانين عاما حتى ماتت زوجتي فاضطررت للعودة إلى سطح الأرض لأكمل المسيرة.

قال لصوص الجمهورية: إذا بإمكانـــه أن يقتحم أي بنك عمومي ويختلس منه ما يشاء دون أن يعترض طريقه أحد.

قال الشيخ: زرت كل بقاع الأرض إلا فرنسا لأنها حبستني سبعين سنة لمـــا استعمرت الجزائر. كما تعرضت للرمي من الطائرة مثل الزعيم الليبـــي عمر المختار. لكني نجـــوت من الموت بأعجوبة. كان حظي أوفر من حظ الشهيد البطل رحمه الله. الأعمار بيد الله. إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال المجاهدون: هذا قط بوسبع أرواح.. عليه أن يحضـــر شاهدين ليثبت جهاده وإلا سنحاكمه.

قال المراهقون: إنه رامبـــو..

قال الشيخ: أستطيع أن أفتي بما أوتيت من علم على المذاهب الأربعة. أتقن ثلاثين لغـــة منها: الفارسية والعبرية والسريانية والألمانية والإيطالية والإنجليزية والإسبانية والهندية والصينية واليابانية والبرتغالية والروسية والألبانية والسواحلية.

قال بعض الحراقة الفاشلين الفتوى لا تهم لكن اللغـــات أصبحت ضرورية ومهمة للهجرة و«الحرقة». من عرف لغة قوم ضمن خبزهم وتأقلم معهم..

قال الشيخ: أدخلت قبائـــل من الجن في ديـــن الإسلام. ونشرت البوذيـــة في التبت والمسيحية في جنوب نيجيريـــا وجنوب السودان وحررت آلاف العبيد هناك وأملك النسخة

غير المحرفـــة من الإنجيل. إذا قلت أنا مسيحـــي كذبت وإذا قلت أنا مسلم كذبت وإذا قلت أنا وثني كذبت وإذا قلت أنا كافر كذبت أيضا.

قال الأئمة: إنه شيخ مارق وسافل بلا دين ولا ملة.

قال المخطار: تعددت الأناجيل والحضارة الغربية واحدة وتوحد القرآن والجمهوريات التعيسة متعددة.. يا للمفارقة.

قال الشيخ: تخرج على يدي ست مائة الف عالم وأديب ومفكر ومصلح. انتشروا في بقاع العالم ومنهم نجيب محفوظ. عبد الحميد كشك. ناجي العلي. سيد قطب. انشتاين. محمد اقبال. طاغور. مارتن لوثر كينغ. هايدغر. سارتر. القرضاوي. هبرماس، الطاهر وطار، فوكو، أحمد زويل. السعيد بوطاجين. لويس أراغون. ناصرمعمـــاش. جورج اورويل. فرانز كافكا. ديستوفيسكي. كافكـــا. جفرسون. عاشور فني، غيفـــارا. كاسترو. تشافيز. كوفي عنان. جمال الغيطاني، ادوارد سعيد، غارسيا ماركيز، عبد الله حمادي، أحلام مستغانمي، الأم تيريزا، عيسى حاياتو، محمد علي كلاي، ميل غيبسون، لوط بوناطيرو. كنت ملهم المهاتما غاندي في بلورة فلسفة الساتياجراها التي استطاع أن يلقنها لمئات الآلاف من الهنود، ليتحرروا من سيطرة الإستعمار البريطاني، وقد التمست من المهاتمـــا أن يصوم حتى تتوقف أعمال العنف بين المسلمين والهندوس. عشت ثلاثين سنة في البقاع المقدسة أخدم الحجيج وأسقيهم من ماء زمزم.

أسست للحكم في العراق. وكمبوديـــا وتشيكوسلافاكيا والشيشان وماليزيا والبلقان وأمريكا اللاتنية. وأواسط إفريقيا. عندما كان سني أزيد من قرن ونيف توجت ملكا على آسيا الوسطى، ثم تنازلت لإحـــدى السلالات التي تدعي نسبها إلى جنكيز خان. أعرف كل زعماء الثورات والثورات الشعبية أمثال أحمد عرابي، الأمير عبد القادر. الأمير شامل. بوعمامة. ماوتسي تونج. لينين. تشي غيفارا. ياسر عرفات. تشرشل. وأنا من أعطيت خاتم الحكمة للرئيس بوش الأب.. وبنيت له زاوية بفرجينيا الأمريكية.

سألـــه طفل عن مستقبل الجمهوريات العربية فقال الشيخ الغريب: سيكون زاهرا بعد سقوط آخـــر الجمهوريات وآخر السلالات الحاكمة فيها. صمت ثم أضاف: الشخص الذي أعدم يوم العيد على شاشات الفضائيات لم يكن صدام حسين. هو أحد الأربعين شبيها الذين كان يعتمد عليهم في مخادعة شعبه والمخابرات الغربية. بعد سنوات سيعود صدام ليدعي أنه المهدي المنتظر أو المسيخ الدجال لا تصدقوه. لا مهدي غير الشعب.

أنا من جئت بالولي الصالح سيدي لخضر البوهالي دفين جمهورية الخراب، من الصحراء إلى التل. وتزوجت أخته الخامسة. كانت أجمل النساء وأتقاهن وأخصبهن. بعد معاشرتها شفيت من المرض المزمن الروماتيزم. ولدت لي سلالة كاملة هم التوارق.. الذين يريد الزعيم أن يتزعمهم ليتوج ملكا على إفريقيا بعد أن فشل في تزعم دول الجامعة العربية.

أما النخلة الملتوية على ضريحه منذ وفاتـــه فقد أحضرتها له من الخليج العربي لأنه كان مولعا بشجرالنخيل.

بقي من عمري عشر سنوات لأرحل إلى الفانية ويحل محلي زمن المهدي المنتظر. سيظهر المهدي بعد أفول آخر الجمهوريات في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج ونسله من سلالة سيدي عبد الرحمن الجيلاني المتصوف الذائـــع الصيت. أوصيكم لن يكون المهدي المنتظر غير الشعب نفسه.

هذا غيض من فيض مما جاء على لسان الغريب الذي انتشر خبره وذاع صيته في أرجاء الجمهورية والذي اختلف الناس في الحكم عليه بين منبهر مصدق لكلامه ومكذب معتبرا إيّاه مجرد دجّال يبيع الهدرة مثل السياسيين في الجمهورية وزعماء الأحزاب الديماغوجية. وجمعيات المجتمع المدني المتملقة.

ما كاد رجال البوليس والمخابرات يصلون إلى مكان الحلقة لتفريقها معتقدين أنهـــا مسيرة شعبية عفوية للمطالبة بحريـــة التعبير وخفض الأسعـــار وتحسين المعيشة. حتى كـــان الشيخ الرفاعي قد اختفى فجـــأة.. لا أحـــد من الحاضرين استطاع تحديد وجهته. بقي سكان الجمهوريـــة مشدوهين يتحدثون عن قصصه وأحاديثه الغرائبية الشيقة.

أجمعوا جميعهم على حقيقة واحدة من خرافاتـــه حين قال: لا مهدي غيرالشعب.

لم أصدق ما قرأت. هذا الذي كتب في جريدة اليوم غير معقول. هذا فصل من فصول الرواية أنا أبحث عنه منذ فترة طويلة. لكني لم أستطع أن أكتبه أو أحصل عليه. تحدث أشياء في الواقع غريبة لا يصدقها العقل، لتثبت خرافية الواقع كان يجب أن تحدث معجزة في مكان ما على أرض الجمهورية. وتنشره هذه الجريدة على صفحاتها اليوم. لأتأكد أن كل شيء حقيقة وليس خيالا، وفرصة أيضا ليتأكد الناس معي بغرائبية ما يحدث. اتصلت بالجريدة وطلبت رقم هاتف المراسل الذي نقل الحادثة، وقد وقع مقاله باسم مستعار، لأتأكد منه أكثر بصدق ما وقع. يبدو أنه كان شاهدا على ما حدث وإلا لما استطاع نقل التفاصيل الدقيقة.. لما سمع المراسل صوتي ضحك وقال: أهلا حضرة الروائي، لا تستغرب أنا أعرفك وكنت أنتظر مكالمتك. قلت: من أنت؟ قال أنا الهواوي ولد فلكاوي الذي التقى به الشنوي في إحدى طرقات الجمهورية وتحاور معه عن أحوال الجمهورية. بعد تسكع طويل وجدت عملا في هذه اليومية كمراسل. نكتب لهم الأخبار الطريفة والغريبة فيعطوننا مقابلها مبالغ مالية تافهة لا تفي بحاجياتنا. كيف.. كيف.. في جمهورية الخراب التي كتبها ابن خشد نبيع أطفالنا للقراصنة وفي جمهورية السراب هذه نبيع الأكاذيب والأوهام. المهم السحب يرتفع والبيع يكثر والمرتجعات تقل. هذه هي صحافة آخر الزمان. الموضوعية هي آخر مانهتم به في كتاباتنا.

سأعطيك معلومـــة. تسهل عليك عملك في ترتيب فصول الرواية، اتصل بالصحفي الخير شوار، الذي كان حاضرا في حلقة الرفاعي، ستجد عنده بعض الفصول الضائعة خذها منه بأي طريقة، قبل أن يتهمك بسرقـــة الرواية منه، لأنه ساهم في كتابة بعض أحداثها وإضافة بعض شخصياتها. ولا تستهن بالدكتور عاشور فني إنـــه يعرف كل تفاصيل الرواية من أين تبدأ وأين تنتهي. الفصول التي اقترحها عليك ليست اعتباطية. أراد فقط أن يختبر ذكاءك. ليترك لك حرية التصرف. إنه يثق في عملك. إذا لم يكن اطلع على المخطوط الأصلي حتمـــا يكون تلقاه أو تلقى بعض فصوله بالتيليباتي. لم أشك إطلاقا في كلام الهواوي ولد فلكاوي. هو أحد أبطـــالي ولا يمكن أن يكذب علي. أنا أعرف بخباياه من نفسه وعاشورصديقي منذ مدة طويلة أعرفه جيدا لا يجامل ولا ينافق. قراءته الصحيحة والمنطقية للرواية، وتحمسه لها بشكل يثيـــر الغرابة والدهشة تؤكد أنـــه تلقاها أو تلقى بعض فصولها، منذ زمن بالتليباتي ولكنه لم يستطع أن يقبض على تفاصيلها ليدونها كاملة. لأنه كان مشغولا بأبحاثه العلمية.

كنت سأغلق الهاتف لكني تذكرت أن الهواوي يريد أن يساعدني في ترتيب فصول الروايـــة. قلت: ما هي الخطوة الأخرى التي تريدني أن أخطوها يا صدقي؟ قال الهواوي ولد فلكاوي: الشنوي «نيهاو» كان في حلقة الرفاعي، ولما جاءت

الشرطة بعد اختفاء الرفاعي رأيته يلتقط مخطوطا أحمر. سرعان ما أخذه منه المخطار وسلمه للخير شوار يبدو أنه المخطوط المطلوب لجمهورية الخراب، للفيلسوف ابن خشد.

فصل في نكبة ابن خشد

أحبتي...

اتصلت بالدكتورعاشور فني بمكتبه. حاولت أن استفسره أكثر عن الفيلسوف ابن خشد الذي لم نقرأ سيرته أو كتبه في المقرر المدرسي. فقال:

هذا فيلسوف ضحية أفكاره. كان ابن خشد رحمه الله وطيّب ثراه، المنارة الحقيقية التي لم تهتد بها السلالة الشريفة و لم تعرف حق قدرها. كان ابن الجمهورية علامة زمانه رجل العلم والفضل والشيم النبيلة هضم تراث اليونان والإغريق واستقل برأيه وبفلسفته المتنورة التي تحمل رؤية أصيلة لمصير البشرية التي كانت تتصارع وتتقاتل على فردوس الأرض التي حملت الحضارة والنور والتسامح والرفاه قرونا كاملة دون انقطاع، وقوّض أركانها الحقد المذهبي والإيديولوجي والسلالي. كانت محنة وفتنتها تنبيء بزلزال الحضارة يضرب المنطقة مخلفا الدمار والخراب ويسمح للحضارة أن تنتقل وترحل إلى مكان أكثر أمنا واستقرارا، وأكثر تقبلا للأفكار الجديدة المتنورة التي تدفع بالتقدم البشري إلى الأمام.

هل كان على سلالة بني الأغلب، وهي السلالة الغالبة بإذن الله، كما يقول ابن خشد نفسه، أن تخطىء في عالم وفيلسوف كبير مثل ابن خشد، ولا تعرف قدره وتنتشله من بطش الحروب والفتن الظلامية التي اندلعت وأتت على كل أخضر ويابس؟

كان ابن خشد هو المصباح والفانوس الوحيد الذي يقود العقل البشري إلى الرشـــاد في ذلك الزمان المجنون. لم يكن العالم المتواضع المسكين، يبحث عن السلطة والجاه والوجاهة والخيلاء. كان فقط يبحث عن مكان آمن يحتضن أفكـــاره وآراءه ورؤاه التي ستصنع المستقبل الزاهر للسلالـــة الشريفة وللبشرية ويدفع بالحضارة إلى التقدم والتطور، حيث سطـــوة العقل والمعرفة بعيدا عن الخرافات والدجـــل والأوهام. بعد أن قرأ وشرح جمهورية أفلاطون وآراء أهـــل المدينة الفاضلة للفارابي، وأضاف عليهما من فضل علمه الغزير، حتى لا يبقى مجرد شارح مجتر لمن سبقه من الفلاسفة، كان يتوخى الحذر، حتى يكون مجتهدا مضيفا لما وصله من تراكم معرفي. وبعد أن ضمّن كتابه عصارة فكـــره وعلمه، كان عليه أن يقف كثيرا عند رأي الفارابي وخاصة في فصل صفات الرئيس الفاضل حيث يؤكـــد: «... إن الرئيس الأول للمدينة الفاضلة الذي لا يرأسه إنسان آخر. أصلا يجب أن تجتمع فيه اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها، هذه الخصال هي:

أن يكون تام الأعضاء قويها، جيد الفهم والتصور لما يقال، جيد الحفظ لما يفهمه ويراه ويسمعه ويدركه، جيد الفطنة ذكيا، حسن العبارة، محبا للتعليم وللاستفادة منقادا له، غير شره

على المأكول والمشروب والمنكوح، محبا للصدق وأهله مبغضا للكذب وأهله، كبير النفس محبا للكرامة، معرضا عن الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا، محبا بالطبع للعدل وأهله ومبغضا للجور والظلم وأهلهما، قوي العزيمة جسورا مقداما..».

قال له كاتبه: هذه شروط تعجيزية، هل كان الفارابي واقعيا لما اشترطها كاملة في الرئيس. قال طبعا ولذلك استدرك واختصرها في صفات ست..

قال كاتبه: حتى هذه الشروط الست لا أراها تتوفر في شخص معين من أبناء السلالة لتولي الرياسة. في هذه اللحظة خطرت ببال ابن خشد فكرة إعادة قراءة فصل الفارابي في المدينة الجاهلة وبالتالي تكون شروط تولي رياستها مناقضة تماما شروط تولي رياسة المدينة الفاضلة. بدأت الفكرة الجهنمية تكبر وتكبر مثل كرة الثلج وخاصة أن كاتبه تشجع وتحمس للفكرة. سيكون الفيلسوف الأول من يفرد كتابا خاصا للمدينة الجاهلة أو الفاسدة أو الجمهورية الخربة. أو بتعبير أدق. جمهورية الخراب.

قرأ فصلا من مقدمة ابن خلدون بعنوان: «في أن الظلم مؤذن بخراب العمران» أعجب به كثيرا.. أعاد قراءته أكثر من مرة. كان في كل مرة يصلي ركعتين استخارة. لفتت انتباهه طرفة البومة التي حكاها المسعودي في أخبار الفرس عن الموبذان صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة

بضرب المثال في ذلك على لسان البوم حين سمع الملك أصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال له أن بوما ذكرا يروم نكاح بوم أنثى وأنها اشترطت عليه عشرين قرية من الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها وقال لها إن دامت أيام الملك اقتطعك ألف قرية وهذا أسهل مـــرام. ألهمـــه الله، بفضل هذه الطرفة البليغـــة، إلى سبيل الصواب الذي يرومه. نادى كاتبه وأخبره أن لا يترك أحدا يزعجـــه ويعكر مزاجه لأنـــه فورا سيشرع الليلة، بإذن الله، بعـــد صلاة العشاء في تحبير أولى فصول المؤلف الجديـــد الذي لم يسبقه إليه أحد أطلق عليه اسم جمهوريـــة الخراب. قال كاتبـــه مدفوعا بفضوله المعرفي وما هي أهم ميزة حاكم جمهوريـــة الخراب يا معلمي؟ أجابه على الفور وهو يغلق الباب دونه: ابن حرام.

عندما فرغ المعلم من فصول الكتاب، كان يعي خطورته. قد يؤدي إلى التنكيل به وتشريده، وحرمانه من عيشه، ومن حقوقه المدنية. أكثر من ذلك قد يتسبب في طلب رأسه لإعدامه. أسر إلى كاتبه بما يساوره من مخاوف. قال له: إن حدث لي مكروه مثلما توقعت قل لم يقتله ابن خلدون، إنما قتلته بومة الموبذان. الأعمار بيد الله. ولا حـــول ولا قوة إلا بالله. قل لن يصيبنـــا إلا ما كتب الله لنا.

كانت نسخة واحدة ووحيدة من الكتاب في طبعة مجلدة بجلد أحمر تنام في خزانة الفيلسوف. لكن الكلام بدأ ينتشرهنا وهناك في أرجاء الجمهورية حول ما جاء فيه. كان الناس

- حسب أهوائهم- يزيدون وينقصون، في غياب المخطوط الأصلي. وصلت الشائعات إلى أولي الأمر من السلالة الشريفة، فتفاجأوا كيف لفيلسوف مثل ابن خشد أن يطعن في مستقبل جمهوريتهم الفتية. بعد أن رفضوا الامتثال إلى ما سطره من أفكار منقولة ومنحولة من كتاب أفلاطون والفارابي. أمروا الشرطة والمخبرين بملاحقة ابن خشد وإحضاره حيا أو ميتـــا وإحراق كل كتبه وسجن كل تلامذته وتعذيبهم حتى يكفروا بآرائه وأفكاره واتهامه بالدجل والهرطقة. لكن هل كان على سلالة بني الأغلب السلالة الميمونة أن تنكب ابن خشد العالم الفيلسوف الذي هرب بكتبه وأبحاثـــه وعقله وعواطفه ليس حفاظا على نفسه من الموت المؤكد، إنما حفاظا على حيـــاة الحضارة واستمرار العنصر البشري على الأرض؟

هل كان مقدرا أن تخطىء السلالة الكريمـــة، في هذه المنارة وتهدمها وتحرق أفكارها وتنكبها وتنكل بها ولا تحميها من الخوف والبطش بعد أن تأججت البربرية التي قادت إلى خراب الحضارات المتعاقبة، بعد خراب بابل وخراب مدنيات عريقة.

في ظروف غامضـــة، اختفى ابن خشد المسكين. فيلسوف الجمهورية والإنسانية. قيل قتل وأحرقت جثتـــه في سراديب الجمهورية التي لا يعرفها إلا أزلام النظام، حتى لا يعرف أحد مكانه وينسى إلى الأبد، كما ينسى كتابه وأفكاره الجهنمية. وقيل مات عطشا وهو يقطع الصحارى محاولا النجاة بنفسه

وبأفكاره، فدفنته الرمال الكثيفة وأراحت جسده النحيـــل من كل تنكيل أو أذى قد يلحق به بسبب أفكـــاره التنويرية الشجاعة ورؤيته الثاقبة للمستقبل البعيد.

جمهـوريـة الخـــراب

مـا جـاء في جمهوريـة الخـراب
للفيلسوف ابن خشد رحمه الله.

فصل في وصف القرن الخامس خارج التاريخ

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا إن سلالة بني الأغلب، وهم الغالبون بفضل الله، السلالة الماجدة، الفاضلة. سلالة المحاربين المجاهدين الشجعان، الذين اصطفاهم رب العباد، وسخرهم مثل ملائكته لخدمة عباده الصالحين الطيبين. السلالة الشريفة الظريفة العفيفة. قاهرة الأعداء المستبدين الحاكمة لإمبراطورية لا يغيب عنها الرمل والضجر والفساء. أصبحت جيلا بعد جيل في عهد حكم سيدنا تنكيتا وهكما، جمهورية طرطر. اكتسبت السلالة الميمونة، قدرة على البقاء والتناسل والامتداد والتحدي خصلة بيولوجية فريدة من نوعها. واكتسبت حصانة تاريخية، بفضل الدور الريادي، الذي سخرها الله له. أبلته في تحرير البلاد من الغزاة وقيادة الشعب العظيم نحو الإستقلال والقضاء على كل الأعداء التاريخيين في العصورالحجرية والقديمة والوسيطة والحديثة وتوحيدها لتراب الوطن الذي ما فتىء يجذب الأطماع من كل الأصقاع. ويسيل اللعاب. بعد أن ضحت السلالة الشريفة بنفسها وبدمها الزكي النفيس وسقت به تراب الوطن الطاهر الجليل وأغرقت في طوفانه الغزاة العتاة الطغاة الطامعين النهمين المستبدين. بعد أن شربوا من كفها كأس الموت الزؤام.

كان شعارها الخالص لوجه الله والوطن العزيز والشعب العظيم الماجد، بعيدا عن كل تبجح ومراءاة و«زوخ»، للدفاع عن الكرامة والحمى، والدفاع عن المضطهدين في كل زمان ومكان. «ما يحس بالجمرة غير اللي كواتو». مثل يردده دائما أبناء السلالة وكلابهم وقططهم وكل حيواناتهم. في كل مكان. بمناسبة وبغير مناسبة. والحفاظ على دين الله طاهرا نقيا لا تشوبه الشوائب. يتلى كتابه وتقام عبادته في كل بيت وفي كل مسجد وعلى كل شبر من تراب الجمهورية المقدس اللامتناهي الرمال والكسل والجهل والفساء.

لم تتردد السلالة الرشيدة، وهي المعروفة في تاريخ الشعوب والأمم بالشهامة والإقدام والنبل، في القسم بأنها ستحافظ على العهد خدمة للشعب البطل الذي يستحق أن يخـــدم، وذلك برفع شعارات كبرى أقل ما يقال عنها، طموحة، حالمة، ثورية ورومانطيقية. كل ذلك للرقي بالجمهورية وشعبها العظيم الباسل وحيواناتها اللطيفة ونباتاتها الجميلة، بعيدا عن صليـــل السيوف وقرع الطبول وصهيل الخيل وطلقات البارود، ونصب الكمائن ورعب المجازر. وأقسمت وهي تقـــدم نفسها بكل تواضع وبساطة وانكسار، لقيادة الشعب العظيم في الزمن الجديد. زمن الحرية والاستقلال. زمن الجهاد الأكبر. زمن البناء والتنمية والتطور. زمن الحداثة والتنوير وتحسين معيشة العبـــاد والحيوان لا تفرق بين كائنات رب العالمين.

كانت شعارات براقة ومغرية أثارت الحسد في نفوس الأجناس والأقوام في أقاصي الأرض، وفي عوالم الجـــن خاصة، حيث شهدت الجمهورية هجرات متدفقة من عالم الجن. مثل: بقرة لكل مواطن تدرّ له حليب الصباح. ودجاجة لكل مواطن تبيض له بيضا مسلوقا متى شعر بالجوع. مثل الوقوف بحزم في وجـــه العواصف التي تزحف بالصحراء إلى قلب الجمهورية وتقضي على أراضيها الصالحة للزرع ولإنبات الفاكهة والخضر، وتـــم التعهد بتحويل هذه الصحراء نفسها المترامية الرمال والإهمـــال إلى جنة فوق الأرض مثل جنة عدن أو حدائق بابل أو كاليفورنيا أمريكا، لتصبح كل حبة رمل بقيمة ملغرام من الذهب الخالص. وتحويل السهول والسهوب إلى مزارع نموذجية عصرية مجهزة بأحدث وسائل التكنولوجية لتنبت خضر الشتـــاء في الصيف وفواكه الخريف في فصل الربيع وتجعـــل من الهضاب حقولا للقمح البليوني والجبال تعيد غرسها بأنواع مختلفة من الأشجار، بعد حرقها وتخريبها من قبل الغزاة التاريخيين الهمجيين لتصبح أكثر كثافة وخضرة مثل غابات الأمازون وغابات إفريقيا الإستوائية. لا ينبت فيها فقط البلوط والصنوبـــر والكروش والطاقا والرتم والديس والصفصاف، إنما ينبت فيها الفلين والزان والأرز. والوديان لا تجري مياهها في فصل التساقط والأمطار فقط إنما تصبح أنهارا تتدفق فيها المياه العذبة مثل النيل ودجلة

والفرات والسين والراين والفولقا. وتجري فوق مياهها الصافية السفن الصغيرة والمتوسطة. وتعيش في أعماقها أنواع الأسماك الجميلة والشهية. السلالة المباركة، سلالة بني الاغلب، الغالبة دائما بحـــول الله، لا تعرف شيئا اسمـــه المستحيل، فقط، كان على الشعب العظيم أن يثق في قدراتها ووعودها. مثلما وعدت بإخراج الغزاة ودحرهم وكانت عند وعدها بفضل الله.

ولما كانت الطموحـــات والأماني كبيرة جدا كبر السلالة المجيدة وبعيدة جدا بعد نظرها الثاقب وصعبة المنال لن يقدرعلى تحقيقها غيرأحفاد السلالة الميمونة. وجد الشعب العظيم نفسه عاجزا عن تقديم التصور الشامل الجامع المانع لأحلامه وطموحاته وأمانيه وأشواقه الملتهبة أوالبديل لتقدم الجمهورية ورخاء أبنائها الميامين. أحلام وتصورات مكبوتة ظلت تسحق الأجيال تلو الأجيال لو.. لو.. لو.. قلت: لم يستطع الشعب الماجد حتى المساهمة في بلورة الغد الذي يحلم به. وهو يقوم بالحروب تلـــو الحروب بقيادة السلالة المنصورة بإذن الله. كانت الحروب قد أنهكته على مر العصور وشتت قواه وأفكاره، وشعر دون تصريح علني، أنه في حاجة إلى راحة طويلة ونوم عميق وهادىء، نوم الكسالى والسلاطين المترفين، دون أن يعكر صفوه أحد. رقدة مثل رقدة أهل الكهف أو رقدة النبي عزير. قرون من الحروب والقتال والفتك والبطش والتخريب. بركات. بركات.. من غزوة إلى غزة ومن دفاع إلى هجوم. في البر والبحر والسهول

والجبال والصحـــارى. ما من شبر على هذه الأرض الطاهرة إلا ويشهد على لحظات التاريخ المجيد التي دوّنها بعض المؤرخين بأمانـــة، لتبقى شهادة حيـــة للأجيال وتغاضى عنها بعضهـــم أو زوروا وقائعها حقدا وحسدا. ولما كانت الأحلام، بدون إرادة سياسية محددة الأهداف، بقيت مجرد كلام والكلام ثرثرة والثرثرة ابتذال والابتذال موت بطيء. لم تكن هناك حوافز لتترجم هذه الأحلام إلى أفعال، تستحق الإشادة، والثناء. سرعان ما تحولت إلى أضغاث أحلام بل أصبحت أوهاما أقل ما يقال عنها، كاذبة عزلت السلالة الشريفة عن الشعب العظيم، بعد أن نام قرونا في العسل مسلما مصيره لغيره يفعل به ما يشاء.. هل أخطأت السلالة المجيدة طريقها ووجهتها الحضارية؟ هل دخلت السلالة التيه الحضاري مجبرة أومخيرة، لتخرج من التاريخ البشري الحافل بالاختراعات والابداعات والفتوحات العلمية، لتجد نفسها في خط متواز مع هذا التاريخ ولكن في الاتجاه المعاكس المؤدي إلى الجمود والركود والفساد والإفلاس والخراب؟ معاذ الله.. معاذ الله.. أن تكون السلالة المجيدة اختارت هذا الطريق بإرادتها وهي تعلم علم اليقين نهايته المأساوية وأفقه المسدود. حاشـــا. حاشا. أن يكون أسيادنا الأطهارالأمجاد الأفاضل ذوي البأس والحنكة والحكمة والتقى والصفاء والصلاح والفلاح، أن يكون قد دار في خلدهم شيء من هذا القبيل وهم يحددون بوصلة المصيرلشعبهم العظيم الماجد.

فصل في ذكر أخبار أبناء السلالة ونسائهم

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا إن أبناء السلالة الشريفة أعلنوا عن قيام الجمهورية الفتية الجديدة، رغم رفضهم العلني والصريح لأفكار أفلاطون والفارابي، تحت شعارالسيادة للشعب العظيم الماجد. الشعب هو السيد. لا أحد يعلو عليه. إلا الذات الإلهية المتعالية أبـــدا فوق الجميع. كذلك كانـــوا يؤكدون في كـــل مناسبة، ما نحن إلا خدّام هذا الشعب العزيز الكريم الصبور، الذي يستحق الخدمة كما يستحق كل الاحترام والتقدير. يتساوى فيها الجميع أمام القانون. ويصبح للجميع الحق في الراحـــة والأمن ولقمة العيش الحلال ومجانية التعليم والعلاج والسياحة وتكافؤ الفرص في القيلولة والنوم العميق. كانت الإقتراحات تخبط خبط عشواء. كانت أوهاما.

قضى الجيل الأول نحبه مستنـــزفا قواه في طرح أسئلة غير مجدية تدور في حلقة مفرغة من المعنى. هل الدجاجة أسبق من البيضة أم البيضة أسبق من الدجاجة؟ انجرفت الأسئلة السطحية الساذجة، إلى حروب سرية ومعلنة بين زمره للاستحواذ على السلطة وجاهها وأبهتها، حتى كانت المواجهات والتصفيات

والإغتيالات التي لم يكن يسمع بها أبناء الشعب الغافلون عن مصيرهم، وإذا حدث وسمعوا بها تنسب إلى الأعداء التاريخيين. التتار الرومان الوندال، المتربصين بقادة الجمهورية وكوادرها ونخبها حتى تتوقف عجلة التنمية وتخمد الأحلام المتأججة لإنجاز المشروع الحضاري الكبير.

قلت ما إن قضى الجيل الأول نحبه، حتى اختلط الحابل بالنابل. انقلب الجيل اللاحق على المبادىء التي نادى بها الأسلاف. وتفاخروا بتجسيدها في ظرف زمني قصير. مرة باسم التصحيح. ومرة باسم الإصلاح ومرة باسم التغيير، ومرة باسم التجديد والتحديث..

كان أفراد السلالة الفاضلة الجليلة يتبادلون الجلوس على كرسي الحكم يتوارثون السلطة فيما بينهم، بين الإخوة وأبناء العم والأخوال والأصهار. متآمرين فيما بينهم لإطالة فترة الحكم لواحد منهم، أو للإطاحة بآخر يريد أن يصل سدة المنتهى لينال نصيبه من الامتيازات والسلطات اللامحدودة. ومتآزرين على الأعداء والفضوليين والمندسين من الخونة والجواسيس. كانوا يتوارثون، مثلما يتوارثون أبهة السلطة، شوارب كثة طويلة، تصل حتى الأرض، تميزهم عن غيرهم من أبناء الشعب العظيم الماجد. لا يحلقونها أبدا طوال حياتهم. أصبحوا يعرفون بأصحاب الشوارب.. هذه الشوارب رمز الشهامة والرجولة والفحولة. يحلفون بها ويهددون بها ويتحرشون بها. كانت أسطورة

الفحولة للسلالة المنصورة بإذن الله حديث العامة والخاصة متداولة في كل مكان تتداولها الألسنة في السر والعلن في الأعراس والمآتم وفي المساجد والحانات والمواخير والاجتماعات السرية والتجمعات الوطنية. كانت بنات الشعب العظيم البالغات سن الخصب والنكاح يحلمن بفارس أحلامهن يكون في مثل فحولة ذكورالسلالة الميمونة. وكن يقبلن أن يركبهن هؤلاء التيوس مقابل المـــال أو قضاء بعض الحاجـــات والمصالح المستعصية. أو من أجل التفاخـــر في الجلسات النسوية التي تقام هنا وهناك. لأن الزواج كان مستحيلا بسبب الأعراف التي كانت متوارثة في ذلك الحين..

المفارقـــة العجيبة، أن الشعر الكثيف كان يغطي سيقـــان نساء السلالة الفاتنات. كن يشبهن ملكة سبـــأ. وكن يدعين أنهن سليلات الملكة العظيمة التي جـــاء في القرآن ذكر قصتها مع النبي سليمان الحكيم. فيحـــول دون زواجهن من رجال خارج السلالة.

رغم جمالهن الخلاب، ودهائهن. غالبا ما يلعبـــن دورا كبيرا في السياسة الداخلية للقصرالجمهوري وفي تغليب كفة حاكم على آخر بجمع أصوات التأييد لهذا أو تأليب الرأي على ذاك. إنهن يتميزن بقصر القامة وبالسمنة وبالشعر الأشقر والعيون الزرق. هذا ما زاد السلالة المباركة تميزا ومهابة ورهبة..

كان في القصر الجمهوري عدد كبير من الخدم يأتي بهم أبنـــاء السلالة الشريفة، من أعمـــاق إفريقيا وجنوب آسيـــا وأطراف روسيا يخصونهم حتى لا يقربـــوا حريمهم ويقطعون

ألسنتهم احتياطـــا لتبقى أسرارهم في بئـــر، أما الخادمات الحبشيات والفليبنيات والتايلانديات، فكن عرضة للتحرشات والاغتصابات في كل مكان. ليس من حق الخادمة أن ترفض عرض سيد من أسياد السلالة المجيدة، حتى لو كانت حائض. من حق ذكور السلالة العتاريس أن يتحرشوا ويستمتعوا ويلبوا نداء الغريزة دون أن يمنعهم قانون أو شريعة. لا حائل يحـــول بينهم وبين الشهوة الجارفة.

الشيء الإستثنائي في سلوك أبناء السلالة المجيدة أنهم يلجأون في كثير من الأحيان إلى فراش القصر لينوبوا عنهم في تسيير شؤون الدولة في الفترات العصيبة التي يعجزون فيها عن تعيين الحاكم من بين عائلات السلالة المجيدة.

بعد فض الخلاف بالتراضي أو بالقوة يلقى الخـــادم المسكين حتفه بطريقة من الطرق.. أقل ما يقال عنها وحشية ودموية. حتى يكون عبرة لمن يفكـــر في الوصول إلى ما وصل إليه من تلقـــاء نفسه.

يحدث كل هذا، في دهاليزالجمهورية حيث لا يحـــق لأبناء الشعب العظيم الماجد أن يشتغلوا بالسياسة ويتطلعوا إلى الحكم والسلطة. السياسة قذارة. لا يجب أن يتلطخ بها الشعب.

فصل في أن سيدنا حكم الجمهورية وهو في بطن أمه.

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا إن سيدنا المبجل ولي العرش الجمهوري تولى الحكم وهو صبي في المهد. بل وهو جنين في بطن أمه. شاءت الأقدار أن يكون ابن الأقدار صاحب الحظ السعيد. من يعترض؟ بعد مقتل والده همام في الحمام البخاري بالسم الزعاف الذي دسه في شراب الزنجبيل الحار عبد حبشي بأمر من عمته «للاهم». كبـــر وخرف و لم ينجب. كل النساء اللواتي ركبهن لم يحملن منه. كان شؤما على أولاد سخطان المتطلعين إلى الاحتفاظ بالسلطة لجيل آخر بعد أن عادت إليهم مع همام. كان همام زاهدا فيها غير راغب في السياسة التي أفنت شباب العائلات في المؤامرات والانقلابات. تولى كرسي الرئاسة ثلاثون حاكما في ظرف سنة واحدة منهم من حكم يوما ومنهم من حكم أسبوعا. أكثرهم حظا حكم شهرين وأسوأهم حكم ساعتين قبل أن يلقى حتفه. بدأت عائلات الأزعر وسكران وفرحان تعد مرشحها لينوب همام بعد وفاته ونهاية أربعينية الحداد الرسمي. كان الخلاف يشتد

بين أولاد سكران وأولاد فرحان من جهة وأولاد الأزعر من جهة أخرى. قبل أن يحسم الخلاف بالتراضي أو بالعنف مثلما يحدث في الغالب، على من سيدير شؤون الدولة. كان فراش القصر الجمهوري يستعد لتسييرشؤون الدولة، حسب التقاليد المتوارثة والمتبعة داخل سرايـــا القصر الجمهوري. لهذا السبب أرادت «للاهم» أن تحكم بنفسها الجمهورية وتسير شؤونها ولا تترك الفراغ الذي يسمح لكل الاحتمالات. كانت عمته ذات جمال وحسن. لها ثقافة واسعة في علم الفلك والآداب والتاريخ. قرأت سير نساء ساهمن في تغيير مسار التاريخ أمثال زنوبيـــا وشجرة الدر والكاهنة وجان دارك. كانت ترغب في إنهـــاء الرعب الذي قض مضجع السلالة الشريفـــة بسبب نبوءة سيدي البوهالي. كان المرابطون والسحرة وضاربو خط الرمل يؤكدون اقتراب موعد نبوءة سيدي لخضرالبوهالي الولي الصالح قدس الله ثراه. لما افتضح أمـــر «للاهم» خافت على نفسها من الفضيحة المشؤومة. فكرت ودبرت ثم استسلمت لقدرها المحتوم. انتحرت في نفس الحمام البخاري للعائلة الحاكمة وبنفس السم الزعاف المدسوس في الزنجبيل الحار وعلى يد نفس العبد الحبشي..

عمرهمام والده المفدى قرنا ونيف قبل أن يلقى حتفه. قضى نصف عمره متربعا على عرش جمهورية طرطـــر. حافظ نسبيا على استقرار الدولة، رغم محاولات الإطاحة بـــه ومحاولات

الإغتيال التي تعرض لها ونجـــا منها بأعجوبة. أخطرها محاولة حلق شاربه من قبل إحدى محظياتـــه أغضبها بعناده في ليلة سمر. تزوج عشرة الآف امرأة وواقع آلاف الجواري والقيان والمغنيات والراقصات والمدلكات.

لم يأت الطمث ناتالي ذات الأصول اليونانية سبية القراصنة. سبوها في إحدى غاراتهم على سواحل الفرنجة وباعوها في مزاد علني مشهود حضره كل وجهاء الجمهورية من أبناء السلالة الشريفة. إستطاع همام والده أن يشتريها بمبلغ كبير بعد أن فتحت شهية الكثيرين من أبناء السلالة لركوبها. عرفت ناتالي مثلما تعرف النساء أنها حامل. وأكدت للمقربين أنها حامل بولي العرش الجمهوري. رأت ذلك في منامهـــا. كان مجلس السلالة يعقد اجتماعات سرية لتعيين فراش القصر الجمهوري لينوب ظلهم الشريف في تسيير شؤون الحكم حتى يحسم أمر الحاكم الجديد.

قرر مجلس السلالة الشريفة، أن تحكم أمـــه ناتالي نيابة عن ظله الشريف حتى يبلغ سن الرشد.. ضاربـــا عرض الحائط كل ما يتداول عن ماضيها. قيل كانت راقصة. وقيل كانت عاهرة داعرة. وقيل جنية وقيل ساحرة.

كان سيدنا منذ ولادته شقيا ومشاغبا. لفت انتباه الجميع إلى سلوكاته الغريبة والعجيبة. خاصة عنفه وغيرته وأنانيته ونزقه. لم يكن يهتم بالدروس التي تلقن له في الحساب والتاريخ

والجغرافيا والفلسفة والأخلاق واللغات. كان يهتم أكثـــر، بمدرسة الآداب الفارسية التي تلقنـــه اللغات الشرقية وآدابها: الشاهنمة وكليلة ودمنة ومنطق الطيروألف ليلة وليلة. كان مولعا بحكايات ألف ليلة وليلة. لا يمل من قراءتها. تسأله كل صباح المدرسة: أين توقفنا في الدرس السابق؟ يجيب بسرعة البرق، دون تردد أو تلعثم، في الليلة كذا وعند القصة كذا. أعجبته الليالي. تمنى في أعماقه أن يكون شهريارعصره ليعيش التجربة الخالدة.

كانت مدرسة اللغات الشرقية وآدابها تجربة اللذة الأولى التي تذوق طعمها. بعدما جرب العادة الأولى التي يمـــر بها كل الشباب أترابه. قشرها مثلما تقشر البرتقالة. بقيت في مكانها منتصبة حائرة وجلة. حاولت صدّه بكل ما أوتيت الأنثى من قوة وشراسة. افترسها في الخلوة، مثلما يفترس الذئب طريدته. كانت تصرخ بأعلى صوتها وتلعنه إلى يوم الدين. بينما كانت غايته الكبرى أن يكتشف أشياءها الأنثوية الداخلية ويلعب بها مثل طفل صغير. كان يشعر بالفخر والاعتزاز وهي تصدّه بقوة. يستجمع غريزتـــه الدفينة وفحولته الطرية لينال شيئـــا لا يعرف هدفه مباشرة. أخطأ في أول التجربة. ستكون شاهدة على خيبته طوال عمره التعيس. بعد أن اشتد عوده بعد البلوغ بويع البيعة الثانية لتولى السلطة في الجمهورية. لقد أنجبه والده في سن متأخرة وهذا ما جعل الألسنة تلوك الشائعات بعد

أن تسربت إلى خارج القصر الجمهوري وانتشرت في كامل تراب الجمهورية.. بعد المبايعة الثالثة في العشرين من عمره، سمع كلام الشعب اللعين الذي يطعن في فحولة والده همام وشرف أمه ناتالي اليونانية، كما سمع النبوءة المتداولة داخل القصر، التي تؤكد أنه المعني بالأمر. تحدث في زمانه المجاعات والخوارق، ويقع في حب امرأة جميلة وذكية تكون سببـــا في إنهاء حكم سلالته المباركة..

كم هو مقرف سماع مثل هذه الأخبار المزعجة.

تناهت إليه هذه المخاوف. جعلته يتخذ قرارات استباقية حازمة وقاسية وصارمة للحيلولة دون حدوث ما يتوقع حدوثه لذلك أقسم. وأقسم أن يبر بقسمه، أمام الملأ في جلسة علنية في حضرة أبناء السلالة الفاضلة والعائلة الحاكمة والحاشية والبارونات والمشامشية أن يحكم الجمهورية أربعين سنة من داخل قصره الجمهوري المطل على البحر والمحاط بسور عظيم تنبت داخله أنواع الأشجار والورود والرياحين ويعيش فيه أنواع الحيوان والطير ويتوفرعلى كل أسباب الراحة والاستجمام، ليتفرغ فيها للهو والزهو والمجون والعربدة. يحكم شعبه اللعين من وراء الأسوار.. دون أن يراه..

هل سبق لحاكم غير سيدنـــا -في تاريخ القبائل والشعوب والأمم- وأن حكم شعبـــه من داخل أسوار قصره؟- كانت فكرة مجنونة خطرت بباله. سارع إلى تنفيذها في الحين. دون

أن يقف في طريقه أحد أو يعترض بإبداء ملاحظة أو فكـــرة أو اقتراح. كان الجميع لا يرون إلا ما يراه صم بكـــم عمي. أعطى الأوامر لتحصين قصره الجمهوري بسور يضاهي سور الصين العظيم، تتحطم عليه كل غارات المعتدين من الطامعين في الحكم والمتمرين والجواسيس والفضوليين والبصاصين.. كان عليه أن يعيد النظـــر في تنظيم الجانب الأمني لشخصه وللقصر الجمهوري. بعد أن كان أسلافـــه يعتمدون على المتطوعين من أبناء الشعب الذين تستهويهم هذه المهنة لمكانتها في المجتمع وما تسبغه عليهم من مزايا ونفوذ ووجاهة وأبهة. كان عليه وهو يقوم ببنـــاء استراتيجيته الأمنية الجديدة أن يتخلى عن هؤلاء العساكر المتطوعين المتشبعين بإيديولوجية المجتمع وبالروح الوطنية الزائدة، حيث يمكنهم أن يصبحوا عرضة لأي اختراق لتقويض أركان الحكم العتيـــد. أسس فيالق الميليشيا التي تتكون من جنود مرتزقة أشداء غلاظ من مختلف الجنسيات.ترك. يونانيين. طلاين. فرانسيس. سبانيول صقالبة. ألمان. أمريكان. لا تأخذهم غفلة ولا رأفـــة. ينتمون إلى شركة حراسة دولية، لها سمعة كبيرة في حماية الأشخاص الأثرياء والممتلكات، يشرفون على الحراسة المشددة في أعالي هذه الأسوار السامقة المبنية بالإسمنت والحجر. دون أن تخفى عليهم خافية عن كل ما يدور خارج الأسوار.. تجوب دوريات منهم كل شوارع المدن والأحياء في ربوع الجمهورية، ليل نهار لاستتباب الأمن.

سرح سيدنا جيوشه وضباطه خوفا منهم ومن تمردهم عليه، فغادروا الحياة العسكرية آسفين، كونهم لا يعرفون عملا آخر غير القتال. اكتسبوا خبرة عبر السنين في قتال الفرس والرومان والوندال والترك والفرنسيس والسبانيول والطلاين.. اشتغل بعضهم مداحـــين في الأسواق يروون سير الحروب والغزوات والانتصارات وانشغل آخرون في تهريب البضائع عبر الحدود. لم يكتف سيدنا بتهميش عسكره فقط، بل همش الكفـــاءات القادرة على الإبداع والاختراع والصناعـــة.. اكتفى بالحاشية التي مكنها من المناصب الحساسة، لتضمن بقـــاءه في السلطة ليبـــر بقسمه.. وكذا المشامشية الذين يحتاجهم في مهماتـــه القذرة وهم بدورهم يحتاجون فتات موائده.

فصل في أخبارالولي سيدي لخضرالبوهالي

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا إن الولي الصالح سيدي لخضر البوهالي المولود في القرن الثاني قبل الخروج من التاريخ، عاش حتى منتصف القرن الأول من الخروج. كان لا يكف بمناسبة وبدون مناسبة عن ترديد عبارتة الشهيرة: إذا لم تهتدوا بالمنارة لبناء الحضارة فسيحل بأرضكم الخراب.. يا ويلكم ويا سواد عيشتكم...

تنبأ، طيب الله ثراه، بالإستقلال منذ نصف قرن. كان الناس يحترمونه ويقدسونه ويثقون في نبوءاته ويتبركون بكراماته لكنه هذه المرة، وعلى غير العادة، قوبل بجفاء وسخرية. قال الناس عامتهم وخاصتهم. المتعلمون منهم وأنصافهم المتعالمون والجهلة الأميون الذين لا يفكون طلاسم الحروف الأبجدية: لقد خرف المرابط سيدي لخضرالبوهالي، وقربت ساعته. إلا هذا الإستقلال الذي يتحدث عنه لن يكون. أنى لهذه الأرض الطيبة أن تكون لغير الأغراب ولغير بطشهم واستبدادهم؟ إنها سنة الكون. سنة الحياة. هذه الأرض ابتلاها رب العباد بالحروب والغزاة للدفاع عن العرض والشرف والدين حتى ينفخ في الصور وتقوم القيامة.

لن يموت أبناء هذه الأرض الطيبة الطاهرة ولن يلقوا ربهم إلا ميتين أو مقتولين مستشهدين في سبيله وسبيل الدفاع أو التمكين لدينه الحنيف.

كان سيدي البوهالي يؤكد في كل مناسبة أن: سلالة الأسرة الفاضلة المقاتلة في سبيل الله ترث عرش الإمبراطورية التي ستصبح الجمهورية المحررة قرونا متتالية. لن يجرأ أحد من أبناء الشعب العظيم مطالبتهم بالتخلي عن السلطة أو مشاركتهم فيها. إكراما للدور التاريخي الرائد الذي لعبته وتلعبه في تجييش الجيوش وتنظيم الغزوات. والذود عن حمى الوطن، والقضاء على الغزاة المتربصين الذين كانوا يهددون الدولة. كان يردد دائما: «ما بينكم وبين أعداء الله والدين ينتهي ولكن ما بينكم لن ينتهي أبدا». كان سيدي البوهالي صادقا. لم تنته الصراعات والحروب السرية بين أبناء السلالة من أجل الظفر بنعيم السلطة والتشبث به.

لكن -حسب سيدي لخضر البوهالي الولي الصالح- يجيء زمن أغبر، تنقسم فيه الأمة إلى ألف فرقة، كل فرقة تقول «فولي طياب». يتطاول فيه الحفاة العراة الرعاة على الأسياد ويطالبون بحقهم في الرياسة وحكم الرعية. ويكون في هذا الزمن نهاية حكم السلالة الشريفة..

ودائما، حسب نبوءة سيدي البوهالي الولي الصالح فإن آخر حاكم من سلالة الأخيار في عنقود الأسرة الحاكمة، يسود فيه القحط والجفاف سنوات، وتسود فيه الفتن، وتظهر الخوارق

والعجائب، ويظهر من يدعي أنه من سلالة النبي المصطفى وأنه المهدي المنتظر صاحب الدعوة. يفتن به الناس ويتبعونه. لكنه يقودهم إلى التهلكة..

يصبح الإنسان أرخص شيء في هذا الزمان الأرعن. يباع ويشترى مثل المتاع والحيوان.. وفي هذا الزمان العجيب الذي يباع فيه حتى الهواء، يخلق آخر سلاطين السلالة الميمونة سلالة بني الأغلب، وهم الغالبون بإذن الله، شاربه الطويل المقدس في سبيل امرأة يحبها ويهيم بها.. وتنقذ الجمهورية عذراء ذات ذكاء وحسن.

بكل صدق ومحبة وألم وتضامن، كانت النبوءة قاسية على سلالة بني الأغلب. لهذا كان كل الحكام والسلاطين المتعاقبين على الجمهورية حذرين يقظين، كل واحد يخاف أن يكون هو المبشر به لتكون نهاية السلالة على يديه، وهو لا يحبذ أن يكون كذلك إكراما للسلالة الميمونة التي ضحت بالنفس والنفيس والغالي والرخيص من أجل الوطن العزيز ومن أجل أبناء الوطن. لذلك كان أبناء السلالة المباركة يملكون زرائب ومزارع من النساء والجواري والمحظيات وما ملكت أيمانهم كما كان لهم قطيع من الذرية الصالحة والطالحة يتفاخرون بها في المجالس والمحافل العائلية والوطنية وحتى الدولية في بعض الأحيان إن اقتضى الأمر طبعا. لأن الذرية حتى لو لم تكن صالحة تسهم في تقوية العصبة والحاشية ومن ثم تصنع القوة والرهبة داخل السلالة الميمونة.

كان مقدرا على تيوس بني الأغلب أن يعاشـــروا نساءهم ومحظياتهم وما ملكت أيمانهم وما اصطادوه في حملات صيدهم المنظمة في مواسم الصيد والرغبة من بنـــات الشعب العظيم المتيمات بشواربهم الطويلة المقدسة وبفحولتهم الأسطوريـــة الخرافية، دون عواطف، ودون رقة أو ليونة.

رغم شغفهم بالشهوات وشهوة النساء خاصة والتباهي بهن في الجناح الجمهوري فإنهم، وإحقاقا للحق، كانوا يمقتون النساء في سرهم حتى وهم ينكحوهن فوق أسرّة السلطة الوثيرة، وفي الأماكن السرية التي تبنى وتؤثث لمثل هذه الغارات الترفيهية الروتينية. لم تكن الشهوة،عندهم التقاء روحين وعاطفتين. إنمـــا نزوة عابرة لجسدين محمومين، تقتضيها ضرورة التباهي والمفاخرة في المجالس العامة والخاصة. إذا جامع أحدهم امرأة يعتصرها مثل حبة البرتقال أو حبـــة «القارس». يأخذ منها ما يحتاجه دفعة واحدة، أو حسب زعمهم، في سبع دفعـــات متتاليات، بدون انقطاع وبدون رأفـــة أو شفقة. يأتيها مثل الزلزال أو الرعد أو البركان. يقضي وطره منها ويختفي. عندما تفيق من غيبوبتها تجد فحلها قد غادر المكان وترك لها بعض المصروف وهي تدرك أنه لن يعود إليها ثانية.

يجتهد تيوس بني الأغلب، في غزواتهم وغاراتهم على النساء حتى لا تتوطد بينهم أي علاقة عاطفية قد تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه حسب النبوءة العجيبة.

مثلما قست قلوب الآباء قست قلوب الأمهات. كانت قلوب الأبناء أشد قساوة وضراوة. وهم يرقبون ذاك الجفاء بين آبائهم وأمهاتهم، وكأنهم أبناء الزنـــا. كان إلحاق النسل بتيس من التيوس سهلا جدا ولا يحتاج إلى صعوبات وتعقيدات وبروتوكولات من حق أي واحدة أن تلحق نسلها بمن شاءت من فحول السلالة المباركة فقط أن لا تكون واحدة من بنات الشعب العظيم، حتى لا يحدث التسرب العرقي إلى السلالة يؤدي إلى الخراب المبشر به. كان لرجال السلالة حراس أشداء يتداولون على حراسة شواربهم في يقظتهم ونومهم خوفا من أي اعتداء، ولهم خادمات سلافيات أنيقات بيضاوات ممشوقات السيقان، يعتنين بتمشيط الشعر وتنظيفه كل يوم وغسله في النبع السحري كل عام في عيد التمكين، حيث تقام طقوس جمهورية سنوية من أجل ذلك. كل ذلك خوفـــا من المصير المأساوي الذي أنذرت به نبوءة الولي الصالح سيدي البوهالي. كم من ذكر تعرض لمحنة الاعتداء على شاربه من قبل نساء الليالي الملونة أو رجال حاقدين على سلوكهم الطائش. كان آخرهم أبوه همام في خلوته مع إحدى محظياته.

كانت نساء السلالة الشبقيـــات خشنات عنيفـــات وكن سحاقيات أيضا. يغرن كثيرا من الجواري والمحظيات لما ينـــزعن ملابسهن ويكشفن عن أجسادهن تحت الشمس ليسبحن في المسابح الاصطناعية، بينما هن يمتنعن عن القيام بنفس الفعل

حتى لا يكشفن عن سيقانهن التي ينبت فيها الشعـــر الأسود الذي لم يفلحن في التخلص منـــه رغم الأموال الطائلة التي تصرف على نتفه من بيت مال المواطنين في الجمهورية.

أصبحت سلالة الأخيار، سلالة بني الأغلب، وهم الغالبون بفضل الله، التي ضحت بنفسها في سبيل الوطن ورأفة بالشعب العزيز تعرف همسا، بذوي القلوب القاسية المتحجرة. انخـــرط أحفادها في الإكثار من النسل والكسب غير المشروع من أجل تقوية العصبة والحاشية وتنمية الثروة بالاعتداء على حقوق الرعية متنكرين لمبادئهم السامية.

فصل في أن الأموات محسودون في الجمهورية

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا بعد أن سمع سيدنا الألسنة اللعينة تطعن في فحولة والده همام وشرف أمه ناتالي، إنتابه شعور بالدونية والقرف. أصيب حفظه الله بإحباط مزمن. كان متأكدا أن أمه فعلتها. تأكد بنفسه بعد أن قرأ تقاريرالطبيب الشخصي التي تؤكد استحالة الإنجاب. لكن مع من فعلتها أمه؟ مع فراش القصر؟ حـــلاق الأسرة؟ وزير البسطة؟ وزير اللـــذة؟ وزير الطالـــع؟ من يكون والده؟

لم تنسه شكوكه المريبة قطعـــان النساء اللواتي جلبهن إلى قصره للمتعة، بقرار جمهوري. كما لم تنســـه ليالي الزطلة والبونجو التي تعقـــد كل مساء حتى مطلع الفجر يحضرهـــا المشامشية والحاشية والبارونات.

اكتشف هواية جديدة بعد أن قرأ كتاب «البحث عن العظام للطاهر جاوت». أصبح أكثر حرصا واهتماما بالأموات الذين غادروا إلى الأبديـــة. هؤلاء الأطهار الذين ضحـــوا في سبيل تحـــرر واستقلال الأرض الطيبة وحمايتها من الغـــزاة المستبدين. هاهي أرواحهم الطاهرة تحمي اليوم الجمهوريـــة

من كل سوء ومن كل شر. إنهم مقدسون وأرواحهم مع أرواح الأنبياء والصالحين. يفضل سيدنا أن يكرم الأموات لأنهم وحدهم يستحقون التكريم والتبجيل والذكر الطيب. بدل إكرام الأحياء اللئام الذين أصبحوا يمثلون عبئا على اقتصاد الجمهورية. يطلقون ألسنتهم في الأعراض دون حياء.

حتى يفي بواجبه النبيل كحاكم للجمهورية لا تزول بزوال حاكمها، تجاه هؤلاء الأخيار الميامين رصد مبالغ طائلة بالعملة الصعبة من بيت مال المواطنين للباحثين عن رفاتهم الطاهرة. ليعيد لهم الاعتبار. أقسم. وهو في كامل زينته وأناقته وأبهته، وفي كامل غيبوبته بما يجب أن يفعله لصالحهم. ليسجله التاريخ بماء الذهب في كل الصحائف الحافظة للتاريخ والذاكرة والأمجاد. أقسم أن لا يهدأ له بال حتى يجمع آخر رفات لآخر شهيد طمرت تحت التراب في أقاصي وأطراف الجمهورية ويعيد لها الاعتبار. حتى في عصور جيولوجية قديمة. هل كان متطرفا أو مجنونا؟ التاريخ وحده يحكم عليه. لا أحد باستطاعته أن يحكم عليه. سليل السلالة الغالبة بإذن الله. تسابق خبراء من جنسيات متعددة للتنقيب، مستعملين أحدث الوسائل التكنولوجية. استحدثت لهم مقابر جماعية مبنية بالرخام والمرمر وكتبت أسماؤهم الافتراضية على الشواهد بماء الذهب. كان الأحياء من رعيته يحسدون هؤلاء الأموات على عناية سيدنا بهم، ويتمنون من أعماقهم لو أنهم كانوا ميتين فيلقون الرعاية والعناية مثلما يلقى هؤلاء الراحلون مجهولو الهوية. لم ينس حفظه

الله وأبقاه ذخرا للأمة أن يقيم نصبا تذكاريا ضخما، من الرخام الخالص في قلب الجمهورية، أطلق عليه اسم (ساحة الأطهار). كتب عليه كل أسمائهم وتواريخ ميلادهم الافتراضيـــة. لم يتأخر في سن قانون يجبر كل من يمـــر به أو بالقرب منه من مواطني الجمهورية أو الزوار أو السياح الأجانب، أن يقفوا وقفة إجلال وإكبار. وقفة صمت وتأمل وتفكير وتذكير وعظة. على الجميع أن يحيوهم وينحنوا لهم ويقرأوا الفاتحة على أرواحهم الطاهرة. سن فيما بعد قانونا آخر أنشأ بموجبه عيدا وطنيا للجمهورية، هو عيد المجد، تقام له بمرسوم، كل سنة الاحتفالات الرسمية، تنشد الأناشيد الوطنية وتقام السهرات الراقصة وتشعل الشموع ويطلق البارود وتذبح الذبائح، وتقام الأفراح. وتطلق الغرائز.

بهذه المبادرة الفريدة العجيبة، حاول سيدنا أن يصرف رعيته من أبناء الجمهورية عن زيـــارة ضريح الولي الصالح سيدي لخضر البوهالي، الذي بشّر بنهاية السلالة الميمونة.

رغم المراسيم التي وقعها وما زال يوقعها كل حين. خـــاب سعيه. لم ينفع وعده ووعيده وتهديده.

كانت السلطة الروحية لسيدي البوهالي أقوى من سلطته.

فصل في أن سيدي البوهالي
يشفي المرضى ويولد العاقر

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا إن ضريح سيدي لخضر البوهالي أصبح يحظى بزيارات من كل حدب وصوب. رغم تحذيرات مراسيم سيدنا. تأتيه النساء السمينات والنحيفات. الجميلات والقبيحات. الشابات العازبات والعوانس. ويأتيه الرجال العاقلون والممسوسون والمعتوهون. الطوال والقصار. العزاب والمتزوجون. والشيوخ الطاعنون الهرمون. يأتي بعضهم بالشموع . يشعلونها. ويأتي بعضهم بالحناء. يخضبون بها أيديهم وأرجلهم وشعور رؤوسهم ولحيهم. يتكفل الوجهاء بـ»الإيزار» الأخضر. بحثا عن البركة والمنافع الدنيوية. يتضامنون لشراء القماش وخياطته لكسوة الضريح.

يحضر الناس الزيارة خاشعين منكسرين. يسلمون على القبر. وفي صدر كل واحد منهم، نية يروم أن يحققها له سيدي البوهالي. يأتي بعضهم فضولا أو تطفلا. بينما يأتي أغلبهم بنية التصدق، بمختلف الأطعمة والمأكولات اللذيذة: مثل الكسكسي والعيش والروينة والطمينة والفطير والشخشوخة والتريدة والغرايف.

هي زردة ووعدة سيدي لخضر البوهالي السنوية التي يجتمع فيها أبناء الجمهورية من كل حدب وصوب. يذبحون البقـــر والغنم والتيوس والدجاج والديك الرومي. يطعمون الفقراء والأغنياء وعابري السبيل والرعاة. ومن فضلاتهم تأكل الكلاب والذئاب والثعالب والخنازير والقطط والجرذان والطيور والنسور وديدان الأرض. يختم هذه الشبعة السنوية، أصحاب الصنعة. يقومون ببعض الألعاب البهلوانية وبعض الطقوس الغريبة. أكل الجمر ولحس السكاكين الساخنة في جو طقوسي مهيب يتابعه المتابعون. بكل جوارحهم. وهم صامتون وكلهم تصديقا لكل ما يرونه من خوارق وعجائب ومعجزات. «مسلمين مكتفين»..

يقوم العبيد والوصفان والحراطنة أصحاب البشرة السمراء والسوداء بخدمة ضريح سيدي البوهالي. يرحبون بالزوار ويسهرون على خدمتهم. مثل النحل رائحين وغادين. يؤدي كل واحد منهم عمله متفانيا بإخلاص وإيمان وطاعة للجميع مقابل بعض المال يأخذونه منهم. بصوت عال يبرحون بهم وبأنسابهم. ذاكرين فضائلهم وامتيازاتهم شاكرين مسعاهم: في خاطر فلان أعطى كذا مبلغ لوجه سيدي البوهالي. كثر خيرو.. ربي يشفيه. ربي يكثر من مالو. ربي يرزقوا ولدا ذكرا.

يتذكر أبناء الجمهورية كرامات سيدي البوهالي. أخذوها أبا عن جد. يقال إنه نادى في صيف قائظ نخلة لتظلله فجاءته طائعة. ويقال أن شابا سرق بقرة وأنكر. فأخذوه إلى سيدي البوهالي، عند باب الضريح أصبح يخور وتحول إلى بقرة.

يقال أن المرأة العزباء كانت تذهب إلى القبة لتتبرك فتمسح على وجهها بقطع من القمـــاش الأخضر وتدور سبع دورات حول قبر الولي الصالح، بعد أن تلقي عليه السلام وتقبله وهي خاشعة، يرزقها زوجا صالحا بإذن الله. تقوم المرأة العاقر بنفس الطقوس. فقط تمسح بقطع القماش الأخضرعلى بطنها فتحبل في الشهرالأول من الزيـــارة بإذن الله. يقوم بالطقوس نفسها مرضى الجنون والبرص والسرطان والجدري فيبرأون. بإذن الله. بعد الزيارة مباشرة. أو بعد سنة كاملة من الزيارة.

تقام الوعدة السنوية وفـــاء لبركات وكرمات الولي الصالح سيدي لخضرالبوهالي ولأعماله الجليلة الخارقة. ونبوءاتـــه التي لا تخيب. يبدأ ترتيب مراسيم الاحتفال ابتداء من ظهيرة يوم الأحد باختيار أماكن ملائمة لنصب الخيام في الخلاء. يجهز المكان المخصص للعب الخيول بتنقيته من الحجارة والأشواك ويرش كثيرا بالمياه حتى يتجنب الحاضرون الغبار. في المساء يكون الاحتفال محتشما. وفي الصباح يزداد الإقبال والتهافت من كل المناطق. يتأهب الخيالـــة أصحاب البارود والسيوف اللماعة للقيـــام، بالاستعراض التقليدي المتمثـــل في السباق والمبارزة والرماية بالبنادق. بتحديد «شارة» للرماية. يتنافس الفرسان أصحاب البنادق على إصابة الهدف. لما يحين وقت الغذاء يقدم الكسكسي واللحم والمرق في قصاع ومثارد كبيرة الحجم يلتف حولها المدعوون جماعات ويتبارون فيما بينهم.

ضاحكين مرحين. من يأكل أكثر. بعد الإنتهاء من الأكل يذهبون لزيـــارة الضريح. يقرأون آيـــات من القرآن الكريم ويرددون بعض الأدعية ويلقون القصائد الملحونـــة في مدح الشمائل المحمدية. ويختمون حفلهم في جـــو مهيب بإنشاد جماعي للبردة.

قبل الغروب يتم جمع الأغراض وفض الخيـــام والعودة إلى البيوت.. ضاربين موعدا في العام القادم في فصل الحرث والبذر والكرامات.

فصل في حكاية «الزبنطوط» وما جرى له مع النساء البايرات

رغم ما قيل وما يقال.

لم يقولوا إن عدد الإناث في الجمهورية، حسب ما أكدته دراسة أكاديمية أعدها خبراء مختصون في الديموغرافيا، أصبح يفوق عدد الذكور، بنسبة كبيرة، تثير المخاوف، وخاصة بعد تولي سيدنا عرش الجمهورية وإصداره قراره التاريخي الشهير. وكأن الله أراد أن يمتحنه، ليرى مدى تجبره وطغيانه وفساده وجبروته. أكدت الدراسة نفسها أن مصير الذكور الإنقراض.. الفرصة التي ينتظرها الشباب الذكور هي تكسير طابوهات التقاليد التي فرضها الأجداد منذ قديم الزمان في الجمهورية. قال فتيان الجمهورية: حان الوقت لتخطب المرأة الرجل من والديه وتقدم له المهر وتوفر له ضروريات الحياة وكمالياتها، ليهنأ في بيت مستقل عن عائلته بعد سنوات القهر والعزوبية والبطالة والتسكع.

حدث كل هذا بعد أن أصبح الرجل يرفض في كل الوظائف الحكومية في الجمهورية باعتباره عنصرا خشنا لا يتقن أعماله ويضيع ساعات نهـــاره في حل الكلمات المتقاطعة وروايـــة

النكت الساقطة المنحلة أو في المراحيض للتجسس على الزملاء عند قضاء الحاجة لسماع صوت الغائط وإعادة تمثيل مشهد الصوت أمام الآخرين وكأنه حدث عظيم. هذه هي التقارير السوداء التي تفنن المديرون في تقديمها للسلطات كمبرر موضوعي لإقصاء الرجال من الوظائف، وتفضيل النساء لاحتلالها والاستفادة من مزاياها.

قبلت المرأة بضعفها ورقتها وصبرها كل الأعمال المفروضة عليها، بكل الشروط حتى التحرشات من قبل المديرين الشبقيين والشاذين الذين يهجرون زوجاتهم أسابيع. يقضون أوقات فراغهم مع البغايا والشواذ في أماكن اللهو والمجون التي لا تليق بمقامهم.

يشتكى الذكور في غالب الأحيان إلى الصحافة الصفراء من البطالة والعزوبية بسبب غلاء المهور. والأئمة لا يملون في دروسهم التذكير بالحديث الشريف: «التمسوا ولو خاتما من حديد». و«..من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم..». كان الفتيان يرددون تبجحا ما قاله ذات يوم الزبنطوط: من لم يستطع الزواج فعليه بالعادة السرية.. كانت الظروف القاسية في الجمهورية غيرمناسبة وغير مشجعة على الزواج. أضرب الفتيان عن الزواج بعد أن أصبح النمو الديموغرافي في صالحهم. أطلقوا شعورهم وتشبهوا بالنساء وأصبحوا يستعملون المساحيق

ويراودون بعضهم في الطرقات والأحياء دون حياء. تفشت بينهم الرذيلة والأخلاق الفاسدة بشكل فظيع. كانوا يعبرون عن سخطهم وغضبهم بكتابة شعارات جريئة وصادمة على حيطان الجمهورية: لتسقط التقاليد البالية المتحجرة.. الحق في زوجة تملك كل شيء. «ما نقراوا ما نخدموا نحوسوا على امرأة تسترنا».. طز.. طز في سيدنا.. كانت دوريات الميليشيا تجوب الشوارع في الليل وتمحو ما يمكن محوه، حتى تحافظ على نظافة الجمهورية وسمعتها. بإخفائها لأشكال التعبير المناهضة لسيدنا ولسياسته.

بعد تدهورالوضع الأخلاقي في الجمهورية، نشرت هيئة دولية تقريرا صحيا خطيرا كشفت فيه تفشي الأمراض الخطيرة مثل السيدا والسفلس والزهري وفقر الدم. ولكن الصحافة الموالية لسياسة الدولة كذبت الخبر واجتهدت في نشر حملات إعلامية مضادة، لتلميع صورة سدينا حاكم الجمهورية خوفا على سمعته وسمعة الجمهورية السياحية حيث كان يأتيها السياح من بلدان بعيدة للاستجمام والاستمتاع بجوها الجميل ورمالها الناعمة وشمسها الرائعة، فقط كان يزعجهم شعبها الكسول الذي لا يعرف كيف يبتسم للسياح الزائرين ولا يعرف كيف يستقبلهم ويرحب بهم.. ولا يعرف كيف يخدمهم. رغم شطارته في رواية النكت والطرائف المبتذلة خاصة. ورغم التقارير التي قدموها إلى وزير السياحة الذي

رفعها بدوره إلى سيدنا، إلا أنه لم يستطع أن يجعلهم يبتسمون حتى بمراسيمه الكثيرة التي وقعها في مخطط رباعي وخماسي. لكن للأسف، باءت كل المحاولات بالفشل الذريع.

تضامنت النساء العوانس البايرات مع الفتيان المضربين عن الزواج وبادرن بتأسيس (جمعية الحق في الرجـــل المناسب) مع مطلب الرجال وخاصة أن المرأة أصبحت تبحث عن حرية أكبر ولذلك كان أن تحققت الأمنية وخاصة أن نســـاء كثيرات يعملن ويملكن شققـــا وسيارات وبعض الكماليات وبقي لهن شرط واحد ووحيد إكمال الديكور الإجتماعي الذي يكون بنصف الدين (الزواج)، حتى لا يتعرضن للنقد الإجتماعي السائد. كن ينشرن إعلانـــات طلب الزواج في الصحف الصفراء الأسبوعية التي أصبحت تهتم كثيرا بمثـــل هذه الإعلانات التي تنشرها مجانا خدمة للتواصل بين الجنسين لربط علاقات عاطفية، قد تنتهي بالزواج، وفي غالب الأحيان تصادفك الخطابات المتكررة مثل. أبحث عن رجـــل حنون وعطوف ومتفهم ويقدّر الحياة الزوجية العصرية. ممتلئة الجسم عزباء تود التعرف على شـــاب بطال قصد الزواج. متخلقة وبنت فاميلية رومانسية عاملة، تبحث عن شاب يقدّر الحياة الزوجية. وكن طلبن فتوى من سماحة المفتي سيدي العياشي بوترعة، فأباح لهن ذلك وخاصة أن الفتيات بلغن سن اليأس ولا بـــد من رجل فحـــل شهم يسترهن ويحميهن ويحمي

شرفهن حتى لا تتحول شققهن إلى بيوت للدعارة والفساد والفسق، لأن الجمهورية ليست في حاجة إلى مزيد من الآفات الاجتماعية. لا يهم عمل الرجل إذا كانت الزوجة تعمـــل. لا ضير أن يقوم الرجل بواجبات البيت في غياب زوجته.

كانت أطرف الزيجات في هذا الزمان العجيب، زيجـــة بوربعة الزبنطوط الذي كان بطالا بلا عمـــل، واشتاق أن يتزوج واحـــدة من بنات جمهوريتـــه ويركبها لينجب منها أطفالا يبيعهم للقراصنة مثلما يفعل أترابه لكنـــه لم يستطع. بعد الإضراب الكبير الذي قام به الفتيان وساندتـــه العوانس البايرات. إستجاب له سماحـــة المفتي سيدي العياشي بوترعة بفتواه الجريئـــة.

تفاجـــأ بوربيعة الزبنطوط في يوم من أيامه التعيسة ودون سابق إنذار أو موعد محدد بأربع نساء ممتلئـــات، يضعن مساحيق على وجوههن ويلبسن لباسا عصريا، يقفن قبالـــة باب الدار في نفس الوقت، يحملن باقات ورد جميلة. منسقة بعناية. فهم أنهن جئن يطلبن يده للزواج بعد أن قرأن إعلانه في الجريدة. إنه الرجل المناسب الذي ظلت كل واحدة منهن تنتظره لكنه لم يطرق بابها. جاء في إعلانـــه: أنا الزبنطوط بوربيعة، عمري سنوات من الانتظار، أسمر، متوسط القامة، مرح، بدون عمل، متفهم للحياة العصرية. أبحث عن واحدة من بنات جمهوريتي لإكمال نصف الدين، شرط أن تكون

عاملة ولها شقة. مستعد أن أجمع بين أربع نساء في فراشي وأمكث بالبيت. لم تصدق النساء البايرات الخبـــر، قصصن الإعلان وانطلقن بسرعة الريح للبحث عن العنوان. لم يصدق المغبون بعد أن فاتحنه في الموضوع: جئنـــا لنخطبك ونحقق حلمنا وحلمك. أشهق بالبكاء. حمحم كالجحش الجائع.. كان نائما في القيلولة. ظن نفسه يحلم بحورالعين التي كثيـــرا ما حكى عنها الإمام في دروسه. أغمض عينيه ثم أعاد فتحهما من جديد. مثل العصفور، طار وحلق في سماء الفرح.

يا للقدر الرحيم.. يخفي لك المفاجأة السارة بعد سنوات من اليأس والبؤس..

تحدث إليهن الزبنطوط على انفراد. سمع منهن وسمعن منه. احتار في الاختيار. قلن له نقبل أن تجمع بيننا في فراشك شرط أن تعدل بيننا. لم يصدق ما سمع. ظنهن يمزحن. لكن ملامحهن كانت جادة. هكذا يحرمـــه القدر من زوجة يركبها ويحرثها مثل بقية الخلق، ولما يستيقظ حظـــه من سباته يقدم له أربع نساء على طبق من كسل وعسل. إذا جات تجيبها شعرة وإذا راحت تقطع السلاسل. بهذا المثل كان يجلده والده ويهينه. أخيرا.. سيخرج من بيت والده الذي تعلم فيه كل القهـــر والضغط والطحـــين والشتم ونظرات الاحتقـــار والازدراء. حتى اقتنع بأنه لا يصلح لشيء حتى النكـــاح. عندما تحدث إلى خاطباتـــه وجدهن يختلفـــن عن بعضهن في اهتماماتهن

وفي نظرهن إلى الحياة، والحياة الزوجية. كن يكملن بعضهن، ويختصرن له النساء اللائي كان يحلم بهن. آه يا الزبنطوط بعد هذا القحط الجنسي ها أنت تنكح نساءك الأربع وكأنك تنكح كل نساء الدنيا والآخرة. أكثر من شرب الزنجبيل، وتفنن في الوضعيات والتقبيل. وداعا للعادة المهينة للشباب.

كن سعيدات بهذا الزواج. لأنهن وجدن المواصفات التي يبحثن عنها في الرجل المتفتح والمتفهم لمتطلبات العصر. هن صديقات منذ أيام الدراسة. لم تستطع الأيام أن تفرق بينهن. كن يتهامسن في جلساتهن: لو نجد رجلا شهما يجمع بيننا في الحلال في بيت واحد وتحت سقف واحد لنحافظ على صداقتنا إلى الأبد. ها هو القدر يستجيب لأمنيتهن ويجمعهن إلى حين في فراش الزبنطوط. كن مستعدات لينجبن له أطفالا يتولى تربيتهم بنفسه ويبيعهم للقراصة ويتصرف بحرية في المال الذي يجنيه من تجارته مثلما يفعل أبناء الجمهورية. كان شرطهن الوحيد أن يعدل بينهن في الفراش.

إقترحن عليه العيش كل شهر في شقة واحدة منهن. ينام كل ليلة مع إحداهن. لم يمض الشهر الأول حتى بدأت الغيرة والحسد والنميمة تعشش في البيت. إقترحن عليه أن يأتي كل واحدة في شقتها. ازداد الحسد والغيرة والنميمة. اختارت كل واحدة مدينة. أصبح يسافر ليقضي ليلته مع إحداهن. لم يوفق أصبح يقضي أسبوعا مع كل واحدة. خانه التعب.

أصبح يعيش شهرا كاملا مع كل واحدة. ازداد الحسد والغيرة والنميمة بين نسائه. كل واحدة تريده عبدا لرغباتها. أصبحت حياته هما وجحيما..

كان عليه أن يهرب. لينجو من ورطته. ويرتمي بين أحضان الخامسة. عادته الخسيسة.

سبحـــان الله..

كيف تحابت قلوب الصديقات البايرات حتى خريف العمر وتباغضت من أجل أير رجل.

فصل في أن أبناء السلالة الشريفة لا يحفـون شواربهـم

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا إن سيدنا المبجل، الحاكم بأمره للجمهورية. سلطان السلاطين سليل سلالة بني الأغلب، الغالبين بفضل الله، ورث عن أجداده الشجعان الميامين طول القامة وطول الشوارب، وعن أمه ناتالي اليونانية الوسامة والزين.. والحواجب المزججة وزرقة العينين. كان شارب سيدنا أسود كث. مثل شوارب سلالته الشريفة. يطلقه أحيانا عندما يكون مرتاحا فيصل إلى أخمص قدميه. لما يجلس في ديوان الحكم في حضرة أبناء السلالة والحاشية والمشامشية، والبارونات تقوم الجاريتان السلافيتان المكلفتان به بفتله ورشه بالعطور والمسك، وهما تكشفان عن سيقان بيضاء ممشوقة. تسيل اللعاب.. عندما يغضب سيدنا في مجلسه من أحدهم، بسبب أو بغير سبب، يلقي شاربيه وراء ظهره بعد أن يعقدهما عقدتين حتى لا يزعجانه ثم يخوض في غضبه الهستيري المرائي. مزبدا مرعدا. شاتما مهددا متوعدا.

كان ملـــوك وأباطـــرة وسلاطين الممالـــك والإمـــارات والجمهوريات يهابون سيدنا. ازداد ذلك بعد قسمه التاريخي الشجاع الذي لا يمكن أن يقدم عليه إلا حاكم قوي وصلب

مثله. لا تعبث به الأهواء ولا تتسلل إلى قلبه الشفقة والرحمة. عنيد وصنديد وجرىء ووقح. إنه أول حاكم في تاريخ الأمم والشعوب، يفعل ما فعل.. ويقررما قـــرر. كانوا يحاولون التقرب إليه في كل المناسبات الدينية والوطنية ولا يفتـــأون يقدمون له الهدايا الثمينة المكلفة. فقط. ليكسبوا وده ورضاه وصداقته.. خاصة في «عيد التمكين» السنوي الذي يغسل فيه شاربه في النبع المقدس سبع مرات، مثلما جرت العادة مع أسلافه الميامين. حيث تقام الاحتفالات الرسمية داخل القصر الجمهوري أياما وليال.

كان الملوك والأباطرة والزعماء والسلاطين يعرفون مدى ولعه وكلفه بالنساء الجميلات الساحرات الفاتنات الشبقيات. وتأكدوا بعد أن أصدر قراره الجمهوري الشجاع بإنشاء أول وزارة في تاريخ الدول والأمم السابقة واللاحقة، سماها «وزارة اللذة» تشرف فقط على تدبير شؤون راحته وملذاته الشخصية، ثم أصدر قرارا ثانيا يجبر فيه شعبه اللعين أن يصرح بكل فتاة تولد على تراب الجمهورية، وأن يلحق كل فتاة تبلغ سن النضج وتبدوعليها علامات الجمال والفطنة إلى «وزارة اللذة» لتلحقها بجناح الحريم الجمهوري ليدخل عليها سيدنا في ليلة من لياليه السعيدة الميمونة.

منذ مغادرتـــه سنوات العادة السرية، بعد اختلائـــه بمدرسة اللغات الشرقية وآدابها، واكتشافـــه للشهوة، قـــرر أن يكون شهريار مثلـــه الأعلى. أعجبه وتأثر بسيرتـــه الجنسية في لياليه

السعيدة الممتعة. لكنه فضل أن لا يقتل نساءه. بل يحافظ على أرواحن بعد أن يمنحنه شرفهن وزهرة شبابهن. إمعانا في إهانة أبناء شعبه الذين تطاولوا على فحولة والده همام وشرف أمه نتالي. جرحه عميق وغائر ومؤلم ومهين. وحيرته أكبر. مع من فعلتها أمه؟ مع فراش القصر؟ مع حلاق السلالة؟

لم يكن سيدنا دمويا مثل شهريـــار. ولا يحب أن يسفك الدماء وخاصة دماء الصبايا اللواتي يسوقهن القدر إلى فراشه الجمهوري الوثير. فقط يفض بكاراتهن بعد أن يدخل عليهن في غرفتـــه المظلمة ويمـــارس معهن طقوسه الجنسية العجيبة، ثم يتركهن يعدن إلى بيوتهن محملات بالهدايـــا، وقميص الليلة لإثبات العذرية والشرف المستباح. وإثبات فحولته الأسطورية. هذا بعد أن يكون البراح بوعبيد المكلف بالإعلام قد تجـــول في الأسواق والطرقات مترنحـــا متبخترا على بغلته الشهباء، محدقا في الناس بعينيه الكبيرتين وحواجبه الطويلة الكثة معلنا عن اسم الفتاة التي ستنام الليلة في سرير سيدنا وتحظى بفض بكارتها، واسم والدها.. مضمرا الحقد والتشفي، إمعانا في الإهانة، نكاية في طول ألسنة شعب الجمهورية اللعين.

كانوا يتبارون فيما بينهم على إهدائه أجمل وأصغـــر الصبايا والجواري والخادمات.. لم يرفض يوما هدية أحد. كان غروره يطالب بالمزيد من النساء الهدايا. هناك جناح خاص في القصر الجمهوري يعيش فيه قطيع من النساء المختلفات الأشكـــال والألوان والجمال حياة طبيعية مثل الغزلان والأيائل يتفاخرن

بجمالهن ورشاقتهن وغنجهن. كن يتشاتمن ويتنابـــزن. كل واحدة تقسم أنها هي من تأسر سيدنا فيحتفظ بها إلى الأبد. كان خبراء أجانب، يشرفون على زريبـــة الحريم الجمهوري يعلمون الفتيات المحافظة على الرشاقة والرقص والغناء وألوان الغنج والدلال ليمتعن بها سيدنـــا في لياليه ويبعدن عنه السأم والضجر، لما يحين دورهن..

رغم أن قصر سيدنـــا يعج بالنساء الشقراوات والسوداوات والبيضاوات والسمراوات.. اللواتي أهداهن إيـــاه ملـــوك ورؤساء وسلاطين وأباطرة العالم.. إلا أنـــه كلف جواسيسه الذين يرأسهم رئيس المليشيا بالتجسس على الرعية، لمعرفـــة المتمردين والخونة المتآمرين لاقتناص الفتيات الجميلات اللواتي بلغن سن النضج الجنسي.. وأكثر من ذلك أصدر سيدنـــا -وتأكيدا على إلحاحـــه- مرسوما جمهوريا جديدا يأمر فيه كل المواطنين والآباء والأولياء بالتصريح لدى «وزارة اللذة» التي أنشأها فيما بعد، بكل مولودة جديدة، وتقديم كل أنثى جميلة نضجت أنوثتها وحان قطافها، إلى الوزارة لتتكفل بها في انتظار ليلتها ليقطفها ويتذوق طعمها سيدنـــا الإمبراطور الجمهوري. سلطان السلاطين. وحامي الحمى. وباقي الفتيات غير الجميلات تفض عذريتهن بأصبع رئيس المليشيا، أو أصبع ستوت أم البهوت الله لا يرحمها يوم تموت، ومن لا يفعل أو يتماطل يعرض نفسه للضرب والجلد أو التخيير بين قطع الرأس أو قطع الأير...

فصل في غضب «رجالة» الجمهورية

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا كانت السنوات تمـــر ثقيلة ورتيبة ومملة وتعيسة. صار بعض «الرجالـــة» في الجمهوريـــة البئيسة، يتأففـــون ويتضايقون من كل ما يحدث لهم من قبل سيدنا سليل، سلالة بني الأغلب، المنصورة بإذن الله، بعد إصداره قراره المشؤوم على الأمة بالاستئثار بكل جميلة من جميلات الجمهورية وفض بكارات الفتيات غير الجميلات بأصبع رئيس المليشيا وستوت أم البهوت وخصي بعض الرجال وقطع أيور المتماطلين بالتصريح ببناتهم الجميلات لوزارة اللذة.

بعد كل هذا أصدر مرسوما جمهوريا يوجب شراء صوره الملونة، ذات الأحجام الكبيرة وبمقاييس محسوبة، حيث فرض عليهم تعليقها في غرف النوم. وكانت نساؤهم اللواتي يقضين اليوم بين الحيطان يتداولن مغامراته الجنسية بدأن يعشقنه، ويتمنين لو كن جزءا من القطيع في زريبته العامرة في انتظار الليلة الميمونة أو مكان الجاريتين السلافيتين المكلفتين بالعناية بشواربه الخرافية..

تجـــرأ بعض «رجالة» الجمهورية، الذين يكرهون سيدنا في سرهم، أنفة وغيرة وحسدا، وخوفـــا على زوجاتهم من الفتنة والغواية والطيش فاطلقوا تحديـــا ونكاية فيه، شواربهم لتصبح مثل شواربه وشوارب السلالة الميمونة المنصورة بإذن الله، ويتباهون فيما بينهم بشواربهم، ويتغامزون على سلالة بني الأغلب الميمونة التي تحاول أن تحتكـــر الشوارب الطويلة الخرافية.. ويقيمون المسابقات والرهانات لمن يستطيع أن يطيل شواربه أكثر من غيره لمنافسة شوارب سيدنا وشوارب أبنـــاء سلالته الميمونة. لكن لسوء حظ «رجالة» الجمهورية، سرعان ما يتوقف شعر شواربهم عن النمو ويتساقط، فيسارعون إلى حلقه قبل أن يصبحوا عرضة للسخرية والتنكيت من نسائهم ومن عامة الشعب.. يتذكر «الرجالة» قول المخطـــار أحد عقلاء الجمهورية: لوكان الشعر مقدسا، مثلما يدعي أبنـــاء السلالة «الكبولة» لما أنبته الله في عورة الإنسان.

فصل في أخبار سنوات سيدنا العجاف

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا في السنوات الأخيرة من حكم سيدنا الحاكم الجمهوري الإمبراطور الأعظم. سلطان السلاطين وسيد الأسياد. سليل الأمجـــاد وحامي الحمى ومجاهد المجاهدين، وخادم الشهداء. حفظـــه الله وأبقاه ذخرا للسلالة العريقة وللأمة المجيدة، برا بوعده الشهير. أن يحكم شعبه أربعين سنة من داخل قصره دون أن يراه..

حدثت أشياء غريبة وعجيبة. كانت نبوءة سيدي لخضر البوهالي الولي الصالح قد بشرت بها. كان سكان الجمهورية يتذكرون وعيد سيدي البوهالي «يا ويلكم ويا سواد عيشتكم». عصف زمن أغبر شاحب وشحيح. شحت السماء بقطرها. فاشتـــاقت الأرض إلى عطفها واشتاق الحيوان إلى زرعها. واشتاق الإنسان إلى ثمرها. يبس الزرع وهلك الضرع.

صار الإنسان شبحا يطارد خياله وحش البؤس والجوع والقهر و«الطحين». في الشعاب والوهـــاد والسهول والقفار والجبـــال والطرقات والأرصفة وغرف النوم. كانت سنوات الجراد اللعين. هجم أسرابـــا و لم يترك الأخضر واليابس. تفشت الأمراض القاتلة الفتاكة مثل الطاعون والكوليرا غير مفرقة بين الكائنات. الإنسان فقد

ملامحه، ضمر بطنه وتقوس ظهره وانحنت قامته.. بعد أن انحنى شرفه وكرامته. صار يمشي منحنيا متوكئا على العصي لا فرق بينه وبين الدواب والبهائم أو يزحف على بطنه مثل بقية زواحف الأرض.

أصبح الأهالي في الجمهورية البئيسة، أكثر من قبـــل، جبريين وقدريين يتفانون في النوم والكســـل ويعلقون كل شيء على حبل الأقدار، لأن الرزق، في اعتقادهم، مقدر حتى على الطير في السماء. «تروح خماصا وتغدو بطانا». وفي كل حين تسمعهم يرددون: الله غالب، كاتبة، المكتوب في الجبين لازم تشوفـــو العين، كل عطلة فيها خيـــر.

تبحروا في زمن المحنة المشؤومة في نواقض الوضوء من أجـــل السفسطة الدينية التي تأخذ جـــل أوقاتهم، وهم المشهورون بالعناد والتاغنانت. «معزة ولو طارت». كانوا يحفظون الأحاديث الضعيفة عن ظهر قلب من أجل الجدل العقيم في القهـــاوي والحمامات والأسواق والأماكن العمومية والخاصة. يطرحون في كل وقت وفي كل مكان الأسئلة الغريبة: هل يجـــوز للمرأة أن تجامع بعلها بعد الولادة مباشرة؟ هل الفساء الذي لا يشعر به المـــرء ناقض للوضوء؟ هل يدخل ابن الحرام الذي جـــاء من غير زواج الجنة؟ عند الاستحمام هل تبدأ بالأطراف أم بالجسد؟ هل تغسل إليتيك، باليمنى أم باليسرى؟ هل ناقـــة صالح كانت مربوطة أم مفلوت عقالها؟ هـــل تحلم الأنثى بالذكـــر وقت السحر أو عند الفجـــر؟ وإذا حلمت هل تغتسل أم تظل على نجاستها؟ هل نضحك حتى تبين منا النواجذ أم نبتسم فقط؟

هم يصلون الأوقـــات الخمسة في المسجد بالوضوء أو التيمم أو بدونهما.. وفي الغالب يؤدون صلاتهم قعودا لأن التعب قـــد أثر فيهم. بعضهم يقصر في صلاته ويصليها صلاة مسافر. حسب زعمهم أن الإنسان في هذه الدنيا مجرد مسافر إلى الدار الفانية، دار الخلود. ولذلك وجب عليه التقصير وهؤلاء «المقصرون». وآخرون يرون أن الله فـــرض خمسين صلاة على النبي محمد ليلـــة الإسراء كما جاء في كتب السيرة العطرة. لكن النبي موسى نبهه إلى أن أمته لا تستطيع أن تؤدي خمسين صلاة في اليوم وهي مشغولة بالجهاد وفتح البلدان والأمصار لنشر الدين الجديد. فرجع النبي إلى ربـــه ليخفف على أمته الصلوات اليومية المفروضة حتى استقر الأمر أخيرا على الصلوات الخمس المكتوبة. استحى النبي من ربه فلم يستطع أن يرجع إليه ليخفف على أمته الصلاة.

واليوم بعد أن استقرت الأمور وانتشر الدين بفضل الله وإرادته وبفضل الفتوحات العظيمة التي أبلى فيها المجاهدون بلاء حسنا، واستشهد في سبيلها الرجال المؤمنون الصادقون، ومنهم سلالة بني الأغلب، الغالبون بإذن الله، قال بعض الصفوة الأخيار المتضلعين في بحور العلم والمتحمسين للاجتهاد، لا بد أن نعود إلى عدد الصلوات المفروضة ليلة الإسراء. إن الإنسان لا يعمل والرزق مقدر عليه فمن الواجب أن يشكر ربه بخمسين صلاة في اليوم.. هؤلاء سموا «المغالون». هم أنصار المهدي الإخجاني، الرافضة الذين وقفوا في وجه سيدنا وحاشيته، ونادوا بالعودة إلى شرع الله لخير العباد وصلاح البلاد. كانت لهم صولات وجولات لتقويض أركان الجمهورية. وإقامة دولة الحق والعدل.

كان المهرطقون من العلمانيين والشيوعيين واللاأدريين، يتهامسون ساخرين. هذه الصلاة التي يتهافتون عليها مرات في اليوم،عمل روتيني ممل يعتمد التكرار والإعادة. وهي ضغط نفسي وعصبي على المصلي. بل هي تعذيب نفسي حقيقي. كيف يصلي المصلي خمسين صلاة في اليوم وهو لم يلتزم بخمس صلوات في اليوم والليلة ولا يستطيع تركها والتكاسل عنها وإلا يتعرض للعذاب والنار وغضب الإله. الصلاة بين العبد وربه والمفروض ألا تكون إجبارية وفي أوقات محددة وإنما تترك اختيارية وفي أوقات الصفاء الذهني والروحي والاستعداد النفسي لكل إنسان حسب حالته. بمجرد دخول وقت الصلاة يقع المؤمن تحت ضغط نفسي وإحساس بوجود واجب هام ومسؤولية يجب القيام بها. يزول هذا التوتر والضغط بعد أداء الصلاة ليعود للظهور بدخول الصلاة التالية. لا ينتهي هذا العبء النفسي إلا بعد صلاة العشاء ليعود مع اليوم الجديد، وبذلك تكون الصلاة مثل القيد في عنق المؤمن لا يستطيع منه فكاكا وذلك حتى لحظة مماته. وتمثل الصلاة عبئا نفسيا نتيجة خوف المصلي من فوات الصلاة. وتتحكم الصلاة في وقت المصلي فيصبح أي نشاط يقوم به في الحياة إما قبل أو بعد الصلاة.

من الناحية الطبية فإن التكرار في الصلاة يمثل ضغطا على الجهاز العصبي للمصلي. فتكرار الفاتحة سبع عشرة مرة في اليوم غير السنن والنوافل وتكرار التسابيح والدعاء يمثل عبئا على الجهاز العصبي وينتج عن ذلك ظهور اهتزازات في اليد والأصابع.

والتثاؤب في الصلاة ليس من الشيطان كما يقول محمد ولكنه رد فعل منعكس من الجسم لمقاومة الملل الناتج على التكرار والملل. والوضوء قبل الصلاة يمثل عبئا عصبيا شديدا وضغطا نفسيا على

المصلي واضطرارا لغسل أعضاء لا حاجة لغسلها سوى لغرض الطهارة والصلاة وهو يمثل مشقة وعناء وخصوصا في الشتاء. ونتيجة التكرار والروتين في الصلاة فإن التركيز يقل في الصلاة ويزيد السرحان والتفكير في المشاكل أو المشاغل. ويبرر محمد ذلك بوجود شيطان للصلاة يسمى خترب. وهو في الحقيقة ليس شيطانا وإنما مقاومة طبيعية من الجسم للهروب من التكرار والملل باللجوء لأفكار أخرى بعيدة عن التكرار الذي هو ضغط على الجهاز العصبي. تسبب الصلاة تشوهات في الجبهة والأرجل أقلها تغير لون الجلد إلى اللون الأسود مما يسبب منظرا قبيحا، وأكثرها خطورة ظهور أورام في مكان احتكاك الجبهة بالأرض قد تسبب السرطان.

هكذا. تحررت الأفكار من عقالها وأصبح كل واحد يدلي بدلوه بكل تطرف في أمور دينية وفقهية.

كانت كل يوم تظهر فرقة دينية لها زعيمها ولها وجهة نظر مخالفة لغيرها. بعضها ذكره الشهرستاني في الملل والنحل وبعضها لم يذكره. كل فرقة تكفر الفرق الأخرى وتدعي أنها الفرقة الناجية بإذن الله.. أهل السنة. الباطنية. الازارقة. الخوارج. الجبرية. الحشوية. الحلولية. الدهرية. الزنادقة. الصابئة. الهجرة والتكفير. السلفية. الشيعة. العفلقية. الناصرية. عندما ينادي المؤذن حي على الصلاة يهرولون من أجل احتلال الصف الأول لإثبات التقوى وحسن التدين والطاعة. وفي الغالب تكون الخصومات و«الهوشات» من أجل ذلك، ومن يتغيب عن وقت من أوقات الصلاة عليه أن يبرر غيابه للإمام

وإلا يرفع اسمه إلى المفتي ليصدر في حقه فتواه يجلده أو يعزره. كان المهرطقون يختفون في الأماكن الخاصة بهم ويصلون بطرقهم الخاصة لأن الصلاة بين العبد وربه ولا دخل لأحد بينهما.

لم يكن مرتادو المساجد مؤمنين حقا. إنما كانوا مرائين ومنافقين. لأن صلاتهم لم تنهاهم عن المناكر والمعاصي والزنا والرشوة والزور وأكل مال بعضهم بالباطل. لم يكونوا يخوضون في السياسة وتسيير شؤون الجمهورية وسلوك أولي الأمـــر. من سلالة بني الأغلب، الغالبون بفضل الله.

كانوا يتزوجون نساء غير أبكار. ويسلمون بأيديهم بناتهم الأبكار الجميلات الفاتنات إلى «وزارة اللذة» لينام معهن سيدنا ليلة واحدة ثم يعيدهن إلى بيوتهن مع قميص نومهن مهانات غير شريفات. بعد أن يكون مواطنو الجمهورية كلهم عرفوا تفاصيل الليلة عن طريق بوعبيدة البراح مذيع الأسرار.

يبيعون أبناءهم للقراصنة، ويقضون أوقاتهم في الأسواق لسماع حكايات عذاب القبر وحور العين وأهوال القيامة وأمجاد الأولين التي يرويها المداحون، والمتقاعدون والمسرحون من الخدمة العسكرية. وفي المساء يجتمعون في القهاوي للعب الدومينو.. يسفهون ويكفرون ويتصايحون كالمجانين ومن يخسر اللعب يدفع ثمن القهاوي وإذا لم يكن يملك سنتيما واحدا. وفي الغالب يكون كذلك، يتفضل ويكشف عن مؤخرته للجميع فيضربونه عليها حتى تحمر.. يضحكون كثيرا ويتمرغون على الأرض، قبل أن يعودوا إلى حرائرهم ليضاجعوهن لينجبن أطفالا

يبيعونهم للقراصنة ويشترون بثمنهم البخس الطعام واللباس، والسجائر، بعد أن يسمعوا صوت بوعبيد البراح بمكبر الصوت يعلن متبخترا. وساخراعلى بغلته الشهباء عن اسم الحورية التي ستنام الليلة في سرير سيدنا ومولانا سلطان الجمهورية حفظه الله.

فصل في ما جاء في الفتوى الغريبة لسيدي العياشي بوترعة مفتي الجمهورية

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا في زمن القحط والجفاف والجوع صار الجميع في الجمهورية الحزينة، إمبراطورية بني الأغلب العظمى، الغالبون بفضل الله، من أتباع بوذا الراهب الهندي الحزين، وهو بريء منهم، لا يأكلون اللحم التي حرمت عليهم كما حرمت عليهم لحم الميتة ولحم الخنزير في الشريعة الإسلامية. حتى الأحلام الجميلة انتهت و لم تعد قابلة للعلك والمضغ.

أفتى مفتي الجمهورية الحزينة سيدي العياشي بوترعة في إحدى المرات على منبر المسجد فتواه الشهيرة التي تحرم أكل لحم الأنعام والدواب والاكتفاء بما تيسر من القديد المحفوظ منذ سنوات الخير والعز، وبيض بعض الدواجن مثل الأنعام التي يصعب الوصول إلى بيضها إلا بعد مسيرة سبعة أشهر، فيها شقاء ومصاعب كبيرة..

زعم سماحة المفتي أن علماء العصر أكدوا أن وزن الأرض كذا كلغ.. وأنها أصبحت تميل إلى الجهة الجنوبية بسبب كثرة (الغاشي) ودون شك فإن الناس سيسقطون في الهاوية وبئس المصير.

هذا الذي يحدث حسب المفتي دائما ما هو إلا ابتلاء من الله عـــز وجل: « وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ » على الإنسان أن يجوع حتى يخف وزنه. عندما يخف وزنه يعود التوازن للأرض. لهذا فإن فتواه الجريئة بمنع أكل لحم الحيوان تـــأتي في هذا السياق لتكون رحمة للناس أجمعين.

قال أحد المصلين وهو الهواوي ولد فلكاوي:

- يا مولانا واش من «باسكولة» وزنوا بها الأرض؟

- هي «باسكولة» «سبيسيال» يا بني..

- وكيفاش هزوها وحطوها فوق «الباسكولة»..

- عندهم «كلارك» قادرعلى شقاه.

- وعلاش ما نطحهمش الثور اللي رافدها على قرنه؟

- الثور كان راقد و«بمانجي».

- وعلاش الأرض ما مالتش لجهة الشمال وين يسكنـــوا النصارى والكفار وهكذا يروحوا فيها.. لجهنم واحنا نروحوا نسكنوا فيها..؟

- الله ورسوله أعلم.. تلك مشيئة الله يا بني..

كان المخطار مندسا بين المصلين اتقـــاء للشبهة والعواقب الوخيمة، يستمع إلى ثرثرة المفتي مع الهواوي ولد فلكاوي الذي يتسابق دائما ليحتل الصف الأول رياء ولا يستحي من جهله المفرط فيطرح دائما الأسئلة البليدة المقرفة..

- هذا «رجيم» باطل يا مولانا..

لم يكد ينهي المخطار كلامه حتى صاح بصوت جهوري:
- سـدوا آذانكم أيها المؤمنون لا تسمعوا كـلام السفهاء الهراطقة الزنادقة.

سد المصلون المؤمنون آذانهم امتثالا وطاعة، استجابة لطلب الصوت الجهوري. ثم عـاد الصوت نفسه يأمـر المصلين برجم الملعون المتطاول في بيت الله على العلماء الصالحين. حماة الدين والشريعة. كل رجمة بحسنة يضاعفها الله لمن يشاء من عباده المؤمنين المتقين الصادقين المطيعين.

ضربوه بأيديهم. رجمـوه بنعالهم. ركلـوه. قرصوه. من لم يستطع شتمه بلسانه وذلك أضعف الإيمان.

صاح الصوت من جديد:
- أغمضوا عيونكم أيها المؤمنون ستحـل اللعنة الإلهية الآن على الكافر الزنديق. بإذن الله، سينال الآن جزاءه.

سارع المصلون إلى إغماض عيونهم امتثالا وطاعـة لصوت المفتي. لكن الهواوي ولد فلكاوي تشجع وراقب المشهد بكل تفاصيله. حضر رجلان قويـان وأمسكا ذراعي «المخطار». جاء الثالث وبيده مقص كبيرة. أخرج لسانه ثم قطعه وتركه مرميا على الأرض. اختفى الثلاثة من حيث أتـوا.

صاح الصوت الجهوري:
- افتحـوا عيونكم أيهـا المؤمنون وانظـروا كيف كانت عاقبـة المكذبين.

شاهد الجميع لسان «المخطار» الذي يعرفه الجميع بعلمه وجرأته ومواقفه الشجاعة. رجل بألف رجل لا يستكين ولا يتملق ولا يهادن. لم يشفق عليه أحد. قالوا جميعهم: يستاهل واش حاسب روحو حتى في بيت ربي وعندو راي.

وحده الهواوي ولد فلكاوي الذي رأى المشهد المرعب أشفق عليه. ورثى لحاله. وتبول في سرواله. ونسي خوفا ورعبا أن يعيد وضوءه.

صاح الجميع:

- الله أكبر الويل للزنادقة..

كان المشهد المأساوي عبرة لمن يعتبر. من يومها لم يستطع أحد أن يفتح فمه بسوء، أو يفكر في مخالفة فتاوى سماحة المفتي سيدي العياشي بوترعة التي تجود بها قريحته استجابة لقضايا العصر.

رأى الهواوي ولد فلكاوي نفسه ذات ليلة يأكل لحم خروف في المنام. خاف على نفسه من سوء العقاب. أسرع وأخبر سيدي العياشي بوترعة بما رأى في منامه. سأله: أصدقني القول يالهواوي: هل ذقت اللحم فقط أم أكلت حتى شبعت؟ أجاب الهواوي وهو يرتجف: أصدقك القول يا سيدي الشيخ كنت جائعا فأكلت حتى شبعت. قال له سيدي العياشي: يجب أن تصوم الكفارة.. ستين يوما، تكفيرا عن الذنب، لأنك كنت متعمدا..

حتى في المواسم والأعياد لم يعد الناس يذبحون الأنعام خوفا من عيون سيدنا حاكم الجمهورية التي قد توصلهم إلى الإعدام، وحتى الماشية التي يقتلها الجوع والعطش ترمى في الخلاء وتبقى عرضة للشمس والتلف. يتحلل لحمها وتأكل منه الحشرات والوحوش والطيور وتتبخر رائحتها النتنة في الهواء. ولا يجرؤ أحد على طهي لحمها وتقديمه لأبنائه الجوعى.

فقط، السلفيون الرافضة، أتباع الشيخ المهدي الإخجاني الذين داسوا على قوانين سيدنا، كانوا لا يلتزمون بالفتوى المجحفة. يسرقون الماشية والدجاج والديك الرومي، ويأكلون لحمها نكاية في سيدنا والمفتي سيدي العياشي بوترعة الذي أحل أكل اللحم لسيدنا وحاشيته ووزرائه والمشامشية والبارونات أصحاب البزنس، لأنهم حسب علمه الغزير أولو الأمر يسهرون على تسيير شؤون الجمهورية ومن حقهم أن يحافظوا على صحتهم ورشاقتهم ووزنهم وبشاشتهم.

فصل في ذكر نونـة عاهرة الجمهورية

رغم ما قيل ويقال.
لم يقولوا «نونة نونة وطبيب المرضى
طبيبـــي نونة سهر الليل
وما يتموه غير الرجالة
لسمر مريض قالوا في حالة..

كانت نونة بنت طعيوج، وما زالت وستبقى في الجمهورية النبع الذي يرتوي منه الخيال الشعبي التواق إلى اللذة والطيش. نونة ملهمة الشعراء والمغنين والقصابة وملهمة العشاق والمجانين وسكارى البارات والكباريهات. نونـــة معشوقة الرجـــال. ما زالت الهجّالة رغم العمر المتقدم وآثار الزمن الذي لا يرحم تبيع جسدها في مزادات القماقم من أجل لقمة العيش والمتعة الجنسية الجامحة.

لا حياء في الدين.

تقول نونة العاهرة بثقـــة. كل واحد أعطاه ربي رزقـــه. واحد رزقه في رأسه. وآخر في ذراعه. وآخر في رجله. وآخر في لسانه. وأنا رزقي بين فخذي.

الخدمة كاينة لكن الفايدة ربي يجيب.

لم تكن نونة جميلة، لذلك لم يصرح بها والدهـــا بن طعيوج لوزارة اللذة ونجت من فراش سيدنـــا. لكنها كانت ساحرة مثيرة مغرية.تعرف كيف تأسر الرجال.

توفي «راجلها» لعمش منذ سنوات بالسل الذي نخر أحشاءه. لكن لعمش رحمـــه الله، مات قبل ذلك بسنوات. لما مـــات أيره ثم ضميره. مات شرفه. مات كبريـــاؤه وماتت رجولته وفحولته. كان المغبون يموت في فراشه يوميا عشرات المرات. تنتابه سكرات «الطحين» والجبن والسعال وهولا يجـــد ثمن الدواء إلا بالمبالغ التي تحصل عليها نونة زوجته من «القماقم» والزبائن المشبوهين..

أحيانا يضطرالمسكين لكتمان سعاله حتى لا يزعج زبائنها. كانت الفاجرة تكذب عليهم مدعية أنه غير موجود أو يغط في نوم عميق. وأحيانا لما تشتد عليهم الضائقة، يرسلها بنفسه إلى جاره بريهوم الذي يشتهي لحمها ويعاف جسد زوجتـــه الباردة جنسيا.. بريهوم يعشق نونة ويتشوق لركوبها. صارحه مرة دون حياء: ابتلاك الله بهذه الفرس الجموح إذا لم تستطع أن تركبها وتحقق لها مبتغاها ستركبك وتكون سبب هلاكك.

نونة تعرف كيف تكسب ود الرجـــال. وكيف تسحرهم وكيف تعزف لهم على الوترالذي لا تعرف العـــزف عليه زوجاتهم اللواتي يتصنعن العفة حتى على فراش المتعة.. تعرف

كيف تعتني بجسدها.. وتفهم في أمور الجنس ما تجهله النساء.. الرجل لا تهـــزه إلا خرجات العاهرة. بحديثهـــا. بسفالتها بعهرها. بوقاحتها. إنها تحفظ الروض العاطر للشيخ النفزاوي عن ظهر قلب.. ولا تكف عن سرد تفاصيل فصولـــه الممتعة في جلساتها للتنكيت ولإثارة الغرائز والشهوة.. هي تسفـــه أكثر من الرجال.. وحديثها لا يكون إلا عن اللذة والشهوة. والجماع.. والوضعيات وأشكال الأيور التي رأتها وأولجتها في فتحتها. حتى أيور الحيوانات تعرف تفاصيلها ولا تكف عن المفاضلة بينها.

بسبب نونة يتشاجر رجال الجمهورية ويتقاتلون. ويتخاصم الأصدقاء في الكاباريهات التي ترتادها.. تشطح عريانـــة.. تشرب الروج.. تدخن الحشيش بكل اشتهاء. «يبرح» عليها «القماقم» و«المقالي» المرفهين بالملايين..لكنها تبذر كل شيء في الشرب والعربدة ولا تنسى أعمال الخير.

كانت قمة الشهوة والتهور.. كل ما تكسبه يذهب هباء. تنفقه يمينـــا وشمالا ولا تنسى المساكين والفقراء. تقـــول لهم أدعوا لنا الله ليهدينا ويرحمنا. هي ترحم أيضا من لا يملـــك حق الركوب والمتعة. تقول ساخرة: نونة بنت طعيوج لا يرد عندها أحد. وتضيف مستهترة: الله يجعلها زكاة..

مازالت على حالهـــا يكاد الفقر يخسف بها الأرض رغـــم ما تجنيه من جسدها ورقصاتها المدهشة. تقول دائما: ما لحقناش الله غالب. اللي يجيبوه الرجلين يروح بالخف.

كيف ساقهـــا المكتوب إلى بيت لعمش؟ تقول نونـــة بنت طعيوج: اللحم من زهر اللي ماعندوش السنين.. كنت أحلم مثل أترابي بليلة في قصر سيدنا. لكني فوجئت -بعد بلوغي- بستوت تقتحم دارنا وتمزق غشاء عذريتي بإصبعها. تأسفت. بكيت. تألمت ولعنت. لعنت ستوت، ولعنت سيدنـــا الذي أصدر قراراته المشؤومة التي كتمت أنفاس وأحلام وشهوات أبنـــاء الجمهورية.

في فصل من فصول صيد الرغبة.

خرج أبناء السلالة الميمونة للصيد فاصطادها تيس من تيوسها. كانت نونة تطل من كوة الباب. أغراها بأناقته وشواربه وحصانه المجنح غمزها ودعاها للركوب. امتثلت بعد أن تأججت الرغبة بداخلها، افترش لها غيمة أحلام. كانت سعيدة بتحقيق جزء من شهوتها مع واحد من أبناء السلالة الميمونة بعد أن خاب أملها في النوم مع سيدنا.

لا تتذكر نونـــة تفاصيل اللحظة التي جمعتها مع صيـــاد بني الأغلب. فقط تتذكر سحر غمزته وآلام حربته التي دخلت أحشاءها بقوة الصاروخ. لما أفاقت من غيبوبتها، كان قـــد رحل وترك لها بين نهديها ورقة نقدية. اكتشفت أن مجموعة من تيوس بني الأغلب ركبتها وتداولت عليها.

سمع والدها بن طعيوج بما أصابها. ندب في شدقيه مثل الثكلى وأقسم أن يزوجها أول من يطلبها منه. فجاء جاره لعمش ذات يوم يطلب يدها، وقد سمع بما حدث لها. لم يكن يحلم أن يوافق

والدها رغم قسمه.. قبل بن طعيوج ولم يعسر في مهرها.. زفت نونة إلى جارها لعمش الذي شجعها بسلوكاته وأخلاقه الدنيئة على احتراف الدعارة والمجاهرة بها.

اليوم رغم تقدمها في السن ما زالت على عادتهـــا تردد: ما زلت على ديداني نمارس الجنس أفضل من بنـــات اليوم.. وتقول لو أعد الأعواد التي دخلت فرجي فإنها تفوق أعداد أشجار الغابات الإستوائية.

- الرجـــال لم يعودوا يمارسون الجنس بمتعة كما كانـــوا في السابق.. أصبحوا يركبون النساء.. بردوا.. خلاص.

فصل في أن عداد سيدنا العجيب يحافظ على البيئة ويجلب المال للخزينة

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا لما اشتدت الأزمة، وحل ما حل بالأمة. عجز الشعب الماجد في الجمهورية عن دفع ثمن الماء والكهرباء والغذاء. أثناء القحط والجفاف والجوع والهم، كانوا يتفاخرون بأن كل شيء انتجته الحضارة جاء به القرآن الكريم منذ قرون. هرب طلاب العلم إلى العلوم الشرعية وتركوا العلوم الطبيعية أو الدنيوية كما يحلو لهم أن يسموها. وكان اكتشاف الرقم 19 في القرآن نهاية كل المجادلين والمسفسطين والمشككين في الرسالة المحمدية. عرف الجميع أن نهاية العالم على الأبواب. باع الناس ما عندهم ورهنوا كل ما يملكون لدى البنوك والسماسرة المرابين. سادت الفوضى في أرجاء جمهورية الضجر. وتأثرت الحياة الروتينية العادية، من جراء ذلك.. القيامة.. القيامة.

فكر سيدنا ودبر ثم استدعى وزراءه لحضور اجتماع طارىء ليستشيرهم في طريقة جديدة لجلب المـــال إلى الخزينة بعد أن قلت موارد الضرائب وكل العائـــدات التي كانت تصـــدر إلى بلاد العجم في سنوات الخير والنعمة والرفاهية..

اقترح عليه أحد المستشارين اليهود ويدعى «الشمـــام» أن يركب موجة العصر ويصبح من أنصار البيئـــة والمطالبين بحمايتها وينضم إلى «قرينبيس»، فيصنع عـــدادا صغيرا يحمله كل مواطن من مواطني الجمهورية معه. يسجـــل كمية الهواء النقي الذي يتنفسه، وكمية الكاربون التي يطرحها، وبالتـــالي يدفع المستهلك حقوق الهـــواء المستنشق والكربون المطروح. هكذا يضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد. يربح تأييد الخضر الذين أصبح تأثيرهم قويـــا في النظام الدولي الجديد، ويربح الحركات التمردية التي تطالب بالمساواة والعدالة الاجتماعية بعد أن ظهرت الطبقية في صورة بشعة تغذي التطاحن والبغض والحسد.. ويربح صمت منظمات حقوق الإنسان على بعض تجاوزاته في حق شعبه العزيز..

أصبح الهواء في بلاد العجم ملوثا، بسبب الصناعات الكبرى التي ترمي بفضلاتها في الطبيعة، يهدد بفنـــاء الجنس البشري وكذلك الحيوان والنبـــات. لهذا أصبحت جمعيـــات المجتمع المدني، غير الحكومية، تدافع بشراسة عن البيئـــة وعن حق الكائنات في الحياة الخالية من التلوث.

اقتنع سيدنا، الهمام حاكم جمهورية الرمل والضجر والكسل، بفكرة الشمام. شكره وكافأه مكافأة سخية.

اقتنع بالمشروع الطموح الواعد بقيـــة الوزراء والحـــاشية والبارونات والمشامشية.

وجه سيدنا كعادتـــه خطبته عن طريق بوعبيدة البـــراح، إلى مواطنيه يأمرهم فيها بضرورة دفـــع مستحقات استنشاق الهواء وطرح الكربون.

قبل أن يجسد المشروع دب الخلاف بين المشامشية منهم من يرى أن يتم تصميم وتصنيع الجهاز من طرف ما تبقى من أمخاخ وجهابذة الجمهورية. ومنهم من رأى أن الأمور ليست بالبساطة التي يراها البعض. يحتاج المشروع إلى إمكانيات تيكنولوجية معقدة ليست متوفرة محليا. وحتى لا يهدر الوقت يجب الاستنجاد ببلاد أجنبية.. بعد أخذ ورد استطاع المطالبون بالإنجاز المحلي أن يفوزوا بالصفقة. كوّنوا فريقا من العلماء والخبراء والمختصين في المجال، فحققوا في ظرف قياسي ما كانوا يطمحون إليه. لم يبق لهم سوى التجسيد.. أقاموا حفلا كبيرا احتفاء بالنصرالكبير. في هذا الحفل استغل «المشامشية» الظرف المناسب وقدموا رشاوى معتبرة للأدمغة التي أنجزت تصميم العداد من أجل التخلي عن المشروع أو الادعاء بأن إنجازه داخل الجمهورية غير ممكن بسبب التيكنولوجيا المعقدة. بعد أن فكر بقايا الأمخاخ ودبروا، رضخوا للإغراءات السخية، خوفا من العقاب الذي قد يسلط عليهم في حالة الرفض. كان المخطار الوحيد الذي رفض الرضوخ للإغراءات ولو مات وأبناؤه وزوجته جوعا. بعد إصراره على عناده واشتداد الضغط عليه قدم استقالته من مركز البحث الذي يشتغل به. لم يبع المخطار ضميره للمشامشية. لكن استقالته

رفضت. خاف المشامشية على أنفسهم، وعلى مصالحهم، من أي تصريح قد يدلي به إلى الصحافة وتكتشف الفضيحة. فتتهم السلطة في الجمهورية بالفساد من طرف منظمات دولية..

بعد أيام وجد المخطـــار نفسه في غياهب السجن مبتـــور الساق، بسبب تهمة إفشاء أسرار علمية للأعـــداء. تخلص المشامشية منه و لم يعد أحد يقف في وجه أطماعهم. لجـــأوا إلى شركائهم الأجانب لإنجاز العداد. بسرعة البرق تم الإنجاز. أصبح العداد جاهـــزا. وزع بسرعـــة على المواطنين. كانت صفقة مربحة للمشامشية.

بعد مـــدة استراح فقـــراء الجمهورية. لكن البارونـــات والمشامشية بدأوا يطيقون ذرعـــا بالجهاز الذي أصبح عائقا في طريقهم ويحد من حريتهم ويكلفهم الملايين التي يدفعونها مباشرة إلى خزينة سيدنا. لأنهم يستهلكون كثيرا الأكسجين ويطرحون أكثر الكاربون.

لما مست مصالحهم بدأوا يتململون ويتجمعون ويتحدون رغم ما بينهم من خلافات مصلحية من أجل تأسيس جبهة موحدة للدفاع عن حقهم في التنفس المجاني. أنشأوا حزبـــا سياسيا برنامجه «الحق في التنفس مجاني للبارونات والمشامشية». نظرا لنفوذهم في دواليب الجمهورية التعيسة استطاعوا أن يقنعوا برشاويهم الحاشية كي يضغطوا على سيدنا لإسقاط ضريبة التنفس. لأنهم يستثمرون في الجمهورية ويبحثون عن

شركاء أجانب لفتح قاعات شاي ومتاجر (السوبر مارشي) ومطاعم (الفاست فود) وقهاوي ونوادي التسلية. كان إلحاح البارونات والمشامشية على سيدنا ناجحـــا. أصدر في جلسة سمر مرسوما جمهوريا، بعد استشارة كلبته المدللة موسكة، يقضي بإسقـــاط ضريبة التنفس على الأغنيـــاء والبارونات والحاشية والمشامشية، لتضاف قيمتها إلى الرعية الفقيرة البئيسة لتقتسمها بالتساوي. نكاية في ثرثرتهم وطول ألسنتهم.

في الشهر الأول، بعد تعديل القانون الجديد عجـــز فقراء الجمهورية عن دفع ماعليهم من غرامات، وجـــدوا أنفسهم يدفعون مبالغ إضافية لم يستهلكوا هواءها ولم يطرحـــوا كربونهـــا. حاولوا أن يقومـــوا بانتفاضة احتجاجية لكنهم لم يستطيعوا أن يوحدوا أنفسهم من أجل هذا الهدف النبيل، خوفا من غضب سيدنا حاكم الجمهورية سلطان السلاطين وسيد الأسياد.

الحقيقة أن الفقراء تاريخيا يعجزون عن الدفـــاع حتى عن حقوقهم، ولا مخرج لهم إلا الانتفاضات والثورات التي تكون في البداية عفوية وسرعان ما تتنظم ويصبح لها أبطالها الأشاوس الذين يبلون البلاء الحسن لإنقاذ أبناء جلدتهم.

لكن في الجمهورية البئيسة، كانت الأنانية تسيطر على نفوس أبناء الشعب. لا أحد يريد أن يضحي بضجره للقيام بفعل إيجابي قد يغيرمن الوضع المزري الذي آل إليه الشعب التعيس.

كانوا يقولون: لقد ضحى أجدادنا بالغالي والنفيس ولسنا مستعدين للتضحية من جديد. علينا أن نعيش حياتنا مثلما قدرها لنا الله تعالى، حتى لو كانت تعيسة وبئيسة.

بعد خروج المخطار من السجن، بدون لسان وبدون ساق اجتمع. بهؤلاء البائسين الذين أصبحوا عاجزين حتى عن التفكير. واتخاذ أي موقف يخدم مصالحهم. بذكائه الخارق اقترح عليهم غرس أشجار كثيرة لمضاعفة إنتاج الأكسجين، لينخفض سعره عند الدولة، وفي المرحلة التالية عندما يرتفع إنتاج الأكسجين، يصدر سيدنا قرارا جديدا يلغي فيه هذا القانون الجائر الذي أنهك البؤساء، وإذا لم يصدر سيدنا قرارالإلغاء يمكنهم أن يؤسسوا تعاونيات تبيع الأكسجين للدولة أو تصدره للدول المحتاجة. وما أكثرها، فيحق لهم أن يستنشقوا الأكسجين مجانا في بلدهم. في الوقت نفسه يحصلون على العملة الصعبة، ليؤمنوا عيشهم. أعجبتهم الفكرة. لكنهم لم يتحمسوا للمشروع بتحقيق الحلم إلى واقع. العمل متعب ومرهق، ويأكل وقتهم قالوا له: إبدأ أنت صاحب الفكرة. نحن سنلحق بك فيما بعد. تحمل المخطار إعاقته. وشرع في غرس الأشجار، الإنسان إرادة قبل كل شيء. إرادة لا تقهر. لما رأوه جادا في تحقيق حلمه، بغرس عشرات الهكتارت في ظرف قياسي. قالوا: لن يستطيع أن يغرس ما غرسه من أشجار، وهو في هذه الحال المؤسفة، لو لم يكن مؤيدا من الله وملائكته. إنه رجل صالح رغم كبريائه وتعاليه. شرعوا بدورهم في الغرس، لكن ليس بحماسه وإصراره على تحقيق الحلم. كان شعارهم «المهم المشاركة». و«الخدمة مع

النصارى ولا القعـــاد خسارة». كـــانت بعدها المفاجـــأة.. ما يغرسوه في النهار تقتلعـــه ليلا أيد خفية ماكـــرة. لم يفهموا ما يحاك لهم في الخفاء. أفهمهم المخطار أن البارونات والمشامشية أصحاب المصالح هم أنفسهم وراء هذا العمل التخريبي. إضطروا إلى حراسة كل شجرة تغرس حتى تكبر وتضرب بجذورها في الأرض وتصبح عصية على كل المعتدين. بعد مدة أصبحت الجمهورية التعيسة التي غمرتها الرمـــال واللامبالاة والضجر والفساء. غابة كثيفة أشجارها خضراء باسقة. امتلأت سمـــاء جمهورية بالأكسجين.

انتظر الفقراء من سيدنا أن يبادر بإلغاء قانون العار لكنه لم يفعل بإيعاز من البارونات. ظهر لصوص الليل يقطعون الأشجار بمناشير ميكانيكية حادة وسريعة. أصبحت أخشابها أو أشياء تصنع منها تباع في السوق السوداء. لم يكن وراء ذلك سوى البارونات والمشامشية أنفسهم. استغلوا الظرف ليقضوا على حلم بؤساء الجمهورية. لتحقيق أرباح طائلة من وراء استغلال الأشجار المحلية بعد أن كانوا يستوردون الأخشاب بثمن باهض من فلندا وفترويلا وكندا والمكسيك والبرازيل.

عاد أبناء الجمهورية التعساء إلى حراسة أشجارهم ليل نهار فقلّ النهب المنظم من قبل عصابات البارونات والمشامشية. أصبحت العمليات محدودة وضيقة وغير مؤثرة على المحيط. أصبحت سماء الجمهورية تفيض بالأكسجين. كما أصبحت محل أطماع الطامعين.

اقترح المخطار على أصدقائه أن يؤسسوا تعاونيات لتنظيم بيع الأكسجين للدولة وتصدير ما يمكن تصديره إلى الخارج. لما سمع البارونات والمشامشية ضغطوا على سيدنا ليمنع هذا التوجه الاقتصادي لخصخصة قطاع استراتيجي حساس يمثل أمن الدولة. كان همهم الوحيد الوقوف في وجه الرعاع حتى لا يزداد نفوذهم، وتقوى شوكتهم، فيتحكمون في مصير الجمهورية. ويؤثرون في سياستها. هذا التوجه خطير على مصير سلالة بني الأغلب الغالبون بإذن الله. وخطر على مصالح البارونات والمشامشية.

بعد أن فهم سيدنا أبعاد هذا التوجه أصدر مرسوما جديدا لتأميم هذه التعاونيات لتصبح تحت إشراف الدولة مباشرة لأن هذا قطاع استراتيجي حساس يمثل أمن الدولة. ولا يمكن أن يصبح في أيدي العابثين.

لما عرف سيدنا أن المخطار وراء المبادرات التي يقوم بها الغوغائيون، أصدر قرارا جمهوريا مستعجلا للقبض عليه وقطع أيره لوضع حد لسلالته وتقديمه للمحاكمة بتهمة إفساد عقول الناس والتآمر على أمن الجمهورية والشروع في انقلاب عسكري.

لكن لحسن الحظ علم المخطار بما يدبر له في الخفاء، فاختفى وتبخر في الهواء.

فصل في أخبار «بوقريطة» مع القراصنة وما جرى له مع سيدنا

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا إن تاريخ الرق يعيد نفسه. بعد قرون من الانعتاق وتكريم الإنسان بصدور بيان حقوق الإنسان. عادت ريمـــة إلى حالتها القديمة في الجمهورية. صارت أعناق سكان الجمهورية مشرئبة إلى الشاطىء في انتظار سفن القراصنة يلوح بريقها في الأفق قادمة من وراء البحارالبعيدة. محملة بأنواع الحبوب: القمح والشعير والحمص واللوبياء والعدس والملابس القديمة، والمساحيق، والعطور والتبغ لتقايض السكان ما تبقى من أبنائهم.

الحقيقة أن القراصنة الذين كانوا ينهبون منذ قـــرون كل شيء يجدونه على السواحل، أصبحوا أكثـــر تحضرا وكياسة في الأزمنة الأخيرة مع أهـــالي الجمهورية. بعد أن كانت أجيال من الشباب تهاجر في الزوارق إلى الضفة الأخرى طلبا للعمل والعيش الرغد. منها من يصل ومنها من يبتلعه البحر أو يأكله سمك القرش. لوضع حد لظاهرة الهجـــرة السرية غير المنظمة، أعيد الاعتبـــار لظاهرة القرصنة القديمة. يقوم القراصنة بكل حرية، باختيارالشباب المتعلمين والذين يملكون حرفاومهارات يدوية. بعد مدة اصبحوا يمارسون نشاطهم في العلن بتعاقدهم مع السكان على شراء السلالات الصالحة.

يختارون الأطفال بعناية فائقـــة، ويقومون بالكشف عليهم، وأختبارهم، بآلات خاصة عجيبة، ليعرفوا مستوى نباهتهم وذكائهم، بل يعرفـــون حتى المجـــال الذي يمكن أن ينبغ فيه الطفل، ليعيدوا بيعهم في مدن الشمال بمبالغ خيالية لأن هذه المدن أصبح سكانها حسب رحالة مشهورين أمثال ابن قطوطة وابن فشلان وابن خثير، عاجزين عن أنجاب الاطفال، بعد انحلال عقد الاسرة وامتناع الناس عن الزواج وميلهم إلى التحرر الجنسي. حيث يتناكحون مثل الأرانب في الشوارع والباصات والحدائق وعلى الشواطىء وفي النوادي وأنفاق الميترو ومخادع الهاتف دون حيـــاء ودون حشمة فعاقبهم الله بالعقم. ورغم المستوى المعيشي المذهل الذي بلغوه بسبب التطـــور الحضاري الذي حققتـــه الإختراعات التيكنولوجية، إلا أنهم أصبحوا في حاجة إلى ثروة بشرية ولذلك يلجأون إلى استيراد الأطفال من الخارج شرط أن يكونوا صغار السن ليندمجوا في المجتمع الجديد ولايحملون قيم وعادات مجتمعهم الأصلي، التي تكون غالبا غير قابلة للتطور وتكون عائقا في طريق الحداثة.

حين يسمع السكان صفير الباخرة يدوي من بعيد، معلنـــا قرب الوصول، يسرعـــون إلى أبنائهم، يحلقـــون رؤوسهم ليتخلصوا من الصئبان والقمل و«يدوشونهم» ويلبسونهم أجمل الثياب، حتى يدفع مقابلهم القراصنة مبالغ محترمة.

وبيع النسل أصبح تجارة رائجـــة في الجمهورية مثل تجارة القماش والحرير والتوابل وتجارة الرقيق في الأزمنة الغابرة.

هناك من تحظى سلالته بالإقبال الكبير، والبعض الآخر أصيب بخيبة كبيرة. أصبح هؤلاء الذين يقبل القراصنة على سلالتهم محط حسد الرجال، وإعجاب النساء اللواتي يطاردنه في الشوارع ومن خلف الأسوار بالهمسات والغمزات.

لم تكن الأخلاق تمنع أحدا من إتيان الفاحشة، إنما الغاية تبرر الوسيلة في الجمهورية.

كان بوقريطة أحد مواطني الجمهورية البئيسة، مشهورا بسبب تنافس القراصنة على شراء سلالته، لأنها مطلوبة في مدن الشمال من طرف الأغنياء والأمراء وأصحاب النفوذ والشركات الرأسمالية الصناعية العابرة للقارات.

لم يختر بوقريطة شريكة فراشه الأبدي واحدة من جميلات الجمهورية، اللواتي كن يؤنسن عزوبيته، بعد أن مررن بفراش سيدنا. لكنه تزوج من إبنة عمه العارم زواجا تقليديا بأمر من والده الفحشوش..

كان بوقريطة يمتاز بقامة مديدة وجمال خلاب بينما زوجته العارم قصيرة القامة وأنفها قصير جدا وجهها لا يغري أحدا حتى إبليس، مثلما يؤكد له أصدقاؤه.

كان حزينا في بداية زواجه، لكن والده شعر بما يعكر حياته من قلق وحزن وتأنيب ضمير. قال له يا بني: إسأل مجرب ولا تسأل طبيب.. يقول سيدي الشيخ المجذوب رحمه الله وطيب ثراه في رباعياته الثمينة:

لا يعجبك نوار الدفلى في الويدان مداير الظلايل
ولا يغرك زين الطفلة حتى تشوف الفعايل..

أنظر إلى أمك عرجونة فمن يراها يقول لي ماذا فعلت في حياتك حتى يعاقبك الله بهذه البلية.. ولكنهم مغفلـــون يحكمون على المظاهر لا المخابر.. عشت معها خمسين عاما ولم أبدلها بجميلات العـــالم.. خنتها مرات مع تركيات ويونانيات وحبشيات وسودانيات.. هذا هو حال الرجـــال يحبون تغيير السروج والفروج.. لكنهم يتوبون في نهايـــة الأمر. كانت كلما شمت رائحة الخيانة في ملابسي تربت على كتفي وتقول: يـــا الفحشوش نقّـــلْ أيرك حيث شئت ولكـــن لما تمل فأنا هنا في انتظارك لن أنغص حياتك باللوم وتأنيب الضمير الفارغ، مثلما تفعل بقية النساء المغفلات مع أزواجهن. كلما أشم رائحة الخيانة أشعر بتقصيري وخيبتي لأن «الفحلة» التي ركبتها كانت أشطر مني، وعرفت كيف تستدرجك إلى أحضانها.

كانت عرجونة أمك ناضجة وواعية ومجربة تدخن الغليون مثل الرجال تماما ولا تميل كثيرا إلى أحاديث النساء.

بدأ بوقريطة يكتشف أسرار زوجته العارم في البيت وفي الفراش. الجمال الذي حرمها منه خالقها عوضها بخفة الدم والفكاهة وحضور البديهة ومتعة الفراش. ما ألذها وما أمتعها.

كان أترابه يعيرونه بها ويقولون له واحد مثلك أعطاه الخالق الصحة والزين كيف تربط مصيرك بهذه «المعفونة»؟ «إلحس العسل مع غيرك ولا تأكل الخراءة وحـــدك» لم يكن يجبهم،

فقط يسمع فتاواهم ووجهات رأيهم ويطرق رأسه وينصرف دون أن يتكلم، أو يعلق على سخافاتهم. فيندهشون أكثر من سلوكه الغريب ويتهامسون لا شك أنها سحرته حتى لا يتركها أو يطلقها..

قبل أن تضع العارم مولودها الأول كان الجميع يراهنون على طلاقها. حتى الأطفال كانوا يعترضون طريقها ويذكرونها بأنها ستطلق. كانوا محرضين من قبل أمهاتهم اللواتي حسدنها في زوجها. كان بوقريطة يفكر أحيانا في نسله. كيف يكون؟ ماذا لو يكون مخيبا لطموحاته وأحلامه. وهو الذي كان يمكن أن يرتبط بأجمل جميلات الجمهورية.

أنجبت العارم طفلا.. من أجمل ما يكون الأطفال. بدت عليه علامات الذكاء وهو في سن الرضاع. أدخلت البهجة إلى قلب بوقريطة وأخرست إلى حين ألسنة السوء. لما قدم بوقريطة ابن صلبه للقراصنة أول مرة وكشفوا عليه واختبروه، أعطوه مبلغا محترما لم يقبضه أحد من قبل من أبناء الجمهورية، بل تعاقدوا معه على شراء كل نسله القادم.

صارت النسوة يغرن من العارم ويتساءلن عن سر التوافق والألفة بينها وبين زوجها بوقريطة. أصبحن يتآمرن للتفريق بينهما نكاية وغيرة وحسدا. يزرن ضريح سيدي البوهالي للدعاءعليها. ويذهبن إلى الطلبة والسحرة، طلبا لهلاكها أو طلاقها. رغم ما كلفهن من أموال فإن العلاقة بين الزوجين

لم تتزعزع. ازدادت مع الأيـــام اشتعالا وتوهجا بعد الصفقة التي عقداها مع القراصنة إنهـــا صفقة العمر يحلـــم بها كل مواطنو الجمهورية.

قالوا لها: أنت «سحارة» سحرتـــه، لأنـــه أصبح لا يرى ســـواك من بنات الجمهوريـــة. وكان يعشق الحسن والزين ويراود الجميلات. ولا يكاد ينهي موعدا غراميا حتى يضرب موعدا آخر.

حتى الرجال، في الجمهورية الذين تزوجوا من نساء فاتنات، وأنجبوا أطفالا، رفضهم القراصنة، أو اشتروهم منهـــم بثمن زهيد، شعروا بالحسد والبغض بعـــد أن أصبحت نساؤهم يعيرنهم ببوقريطة، ويطلبن إذنا منهم لمراودته للنوم معه من أجل إنجاب نسل قابل للبيع والمقايضة بمبلغ محترم.

أصبح الرجـــال مثل النسوة في مجالسهم، لا حديث لهـــم إلا نهش لحم بوقريطة، وكشف عيوبه التي يختلقونها من العدم، أو يخرجونها من لا وعيهم.

رغم أن سيرته بعد زواجه من العارم أصبحت أكثر استقامة ويعرفها الجميع. إلا أنـــه كان مطاردا من النساء الراغبـــات في إنجاب نسل يقبل على شرائه القراصنة بسعر مغر.

شيئا فشيئا. ساءت أخلاق النساء في الجمهورية أصبحن يتحرشن علنا ببوقريطة، و لم يستطع أزواجهن أن يمنعوهـــن، أو يوبخوهن على الأقل..

وخوفا من الفضيحة، هناك من بادر وألبس زوجتـــه حزام العفة خوفا من نومها مع بوقريطة الملعـــون. وهناك من وافقوا وأعطوا زوجاتهم حرية اصطياده للفوز بحمل مبارك من صلبه يقبل القراصنة شراءه أو مقايضته بمبلغ محترم.

بلغت الجرأة والوقاحة بالنسوة المتحرشات بعد فشل محاولتهن التحرش ببوقريطة، أن زرن فرادى وجماعات العارم في بيتها وطلبن منها مستعطفات مترجيات باكيات أن تحتفظ لهن بمني زوجها في زجاجات خاصة يشترينها بما تطلبه من مال.

لكنها لم تستجب لطلبهن الغريب ما دام زوجها يرفض هذا الفعل المشين المنافي للأخلاق وهي لا يمكن أن تخونه من ورائه.

كانت العارم نية وساذجة وهذا باب ضعفها الذي تسللت منه نسوة الجمهورية بالتحالف مع الشيطان.

جاء الشيطان إلى العارم في صورة جارتها الطيبة زهيرة وقال لها: إنك تحتاجين إلى نطفة واحدة لإنجـــاب بضاعتك، وبقية النطف تعتبر تبذيرا يحاسبك عليه الله يوم القيامة. بينما هناك نساء كثيرات في حاجة إلى هذه النطف، لينجبن ذريـــة يقبل على شرائها القراصنة مقابل مبالغ محترمة تكفي أسرهن مدة من الزمن. شعرت العارم النية بالحزن، وأشفقت على بقية النسوة، ورأت أنه من حقهن أن يحصلن على مني زوجها بوقريطة، أفضل من تبذيره. بدت لها العملية سهلة وغير خطرة، ولا تحتاج إلى تفلسف. قال لها الشيطان المتنكر في صورة جارتها: بكم

تبيعيني النطفة، لأعيد بيعها لسيدات الجمهورية المحترمات؟ قالت العارم النية. والله ما دام الأمر كذلك، فلن أكون بخيلة ولئيمة، سأعطيهن المني مجانـــا. أجابها الشيطان: هذا كـــرم منك. فقط لا تكشفي السر لزوجك بوقريطة، ولا يجب أن يعرف أحد أني آخذ منك المني مجانا حتى لا تكوني مرائية فتفسد نيتك ولا تأخذي الأجرالكامل يوم الحساب. تساءل الشيطان: كم أبيع النطفة يا ترى للنساء المتحرقات على السلالة التي يقبل عليها القراصنة؟

لما فاتحهن في الموضوع قدمن له أغلى ما عندهن من ذهب ومجوهرات وما لم يخطر على باله، سوء الأدب.

أصبحت النساء حين يفتح الرجال قفل عفتهن ويطارحوهن الفراش يقمن بالعزل من أجل إدخال نطفة بوقريطة المهربـــة في زجاجات من طرف زوجتـــه العارم. نجحت كثيرات من النساء في إنجاب نسل جديد يقبل عليه القراصنة.

شعر بوقريطة بالمنافسة غيرالشريفة. لكن بعض الرجال الذين لم يعطوا نساءهم تصاريح باللجوء إلى هذه العملية التناسلية الغريبة عن العرف والتقاليد، شككوا في الأمر وأشاعـــوا في الناس بأن بوقريطة زنا بنسائهم، ويجب معاقبته ووضع حد لأفعاله الشنيعة الدنيئة.

وشى به بعضهم إلى المفتي سي العياشي بوترعـــة فخصه بفتوى، اتهمه فيها بإفساد أخلاق النساء، وطالب الجميع بمراقبته والقبض عليه متلبسا حتى يحاكم محاكمة عادلة.

راقبوه وراقبوا زوجاتهم، إلا أنهم عجزوا عن القبض عليه متلبسا بالركوب. بكل بساطة،لأنه أصبح مستقيم الأخلاق حسن السلوك و لم يكن مثلما يتهمونه. وصدموا لما وجدوا نساءهم بعن مجوهراتهن وشرفهن للشيطان من أجل الحصول على نطفة قهرها خفية العارم النية، دون علمه.

وصل خبر بوقريطة إلى سيدنا، فبعث إليه جابي الضرائب ليأخذ منه حق الضريبة لخزينة الجمهورية، لكن بوقريطة تعجب كيف يسمح سيدنا الذي استأثر لنفسه بكل ما لذ وطاب في الجمهورية ليأخذ الضريبة على نسله. كان الجابي يلح على أخذ الضريبة ارضاء لنزوات سيدنا. في لحظة غضب وجنون كشف بوقريطة عن عورته للجابي. وقال له: قل لسيدنا هذا رأسمالي الحقيقي في هذه الجمهورية اللعينة، أيـــر وخصيتان ولن أبخل عليك بهم إن كان ذلك يثبت لك ولائي وحسن مواطنتي. عاد الجابي إلى سيدنا وأخبره بما رأى وسمع من بوقريطة. قال سيدنا: ما دام يملك خصيتين عليه أن يدفع الضريبة للخزينة. إذهب إليه وانزع إحدى خصيتيه ثم عمم القرار على كل من يشتغل بأيره ويربح من تجارة نسله. الجمهورية في حاجة إلى ضرائب مواطنيها حتى لو كانت خصيهم.

فصل في أخبار الزيارة المشؤومة

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا لما سمع سيدنا حفظه الله ما أصاب الجمهورية من بؤس وفقر وتعاسة. فكّر ودبّـــر وقـــرر أن يخرج بنفسه ليرى الشعب اللعين الذي ظل يحكمه من خلف الأسوار دون أن يراه مـــدة أربعين سنة كاملة من توليه السلطة الشمولية وارثا إياها عن أجداده بني الأغلب، الغالبون بإذن الله، قاهري الطغاة والاستبداد.

رغم تحذيرات وزير الطالع من خرجته المفاجئة، إلا أنه كان مصرا على مواجهة ما يـــدور خلف أسوار قصره الجمهوري. كان مزهوا في ملابسه الجمهورية الفاخرة وعلى رأسه عمامة مذهبة، يركب حصانه الأدهم ذي السلالة العريقة، وتتقدمه طاروسته البيضاء موسكة التي زادها البقع السوداء على جسمها النحيل رونقا وجاذبية. والتي تأكل طعام قبيلة بأكملها كل يوم ولا تشبع وهو يقول عنها «المـــزود الرقيق واش يحمل من دقيق». وعلى يمينه ويساره العسس والميليشيـــا والبوليس السري وحراس الشوارب، يحرسونه بالحـــراب والنشاب من

كل معتد أو متآمر، أو غيور حسود. كان العبيد والخـــدم في المقدمة يرشون ماء الورد ويحرقون البخـــور. وخلف موكبه وزراؤه الأفاضل. وزير اللذة وزير الإطعام وزير الطالع وزير الفراش وزير البسطة، ينظرون إليه بعين الإعجاب المشوبة بالتملق والحسد.

كان سكان الجمهورية التعساء، سمعـــوا باقتراب موعد خروج سيدنا لتفقد رعيته فاستعـــدوا لهذا الحـــدث العظيم عاما كاملا.. طمعا في كرمه، عله يرأف بهم ويساعدهم في تجـــاوز المحنة القاسية. مفاتيح حلول جمهوريتنا في يد سيدنا، هو الآمر وهو الناهي. يقول كن فيكون.

طلوا جدران بيوتهم الآيلة للسقوط بالجير، اغتسلوا ورقعـــوا ملابسهم، وكتبوا لافتـــات بخطوط جميلة ورديئة يحيون فيها سيدنا، ويلتمسون فيها المساعدة راجين أن لا يكونوا قد أثقلوا عليه بقراءتها. كان أطرف ما كتب على اللافتـــات: يا سيدنا ساعدني على مضاجعة زوجتي.

أزعج سيدنا منظر الأكواخ والبيوت القصديرية التي التفت حول القصرالجمهوري وامتـــدت حيث ينتهي البصـــر، لقد شوّهوا النسيج العمراني للجمهورية. أصبح منظرها لا يشبه إلا مقبرة خربة. الرمال.. الرمال.. الصحراء..الصحراء.. على أبواب القصرالجمهوري.

اتخـــذ القرار بينه وبين نفسه بتهديم هذه الأعشاش وطرد أصحابها إلى أطراف الصحراء، دون شك فهم سبب البـــلاء الذي أصاب الجمهورية الآمنة التي ظلت ترفل في الخير والنعيم جيلا بعد جيل دون أن تتعرض لهذه المحنة القاسية.

كان يتأمل وجوه الجموع المحشورة على جانبي الموكب تتقاتل مثل القطط على شيء تافه، أو تتناطح مثل الثيران التي يتفرج على نطاحها في نهاية كل أسبوع والعرق يتصبب منها فتنبعث رائحته ملوثة الموكب السلطاني الجليل. لم تعجبه وجوه شعبه، فهم مصفرون مثل الزعفران، هزيلو الأجسام منحنو القامات، والذل باد على محياهم. هم أقرب إلى الأشباح والشياطين منهم إلى البشر. الأوباش لا يستأهلون أن يحكمهم سيدنا.

قال سيدنا لوزير الطالع:

- من هؤلاء الأوباش؟

قال الوزيـــر:

- شعبك العزيز ورعيتك التي تحبك يا سيدنا ..

قال سيدنا:

- أنا لا يشرفني هذا الشعب المصفر المغبر المتدلي الأعنـــاق المتهالك على الأرض مثل القطيع.

قال الوزيـــر:

- إنهم لم يأكلوا منذ سنوات وهم ينتظرون اللحظة التاريخية التي يمر فيها موكب سيادتكم، ليروا وجهكم المنير بعد سنوات من الاحتجاب خلف أسوار القصر..

قال سيدنا:
- وما هذه الصلبان التي يحملونها؟
قال الوزير:
- إنها لافتات.. يطلبون لك فيها طول العمر.. والحياة الرغدة للطاروسة موسكة..
قال سيدنا:
- وهذه الأعشاش التي أقاموها بدون ترخيص، وشوّهوا صورة وسمعة جمهوريتنا السياحية؟ وهذه الرمال التي تزحف، إنهم مسؤولون عنها.
قال الوزير:
- ستهدم حالا يا سيدنا بعد عودة الموكب آمنا إلى القصر الجمهوري. وسنعالج أمر الرمال الزاحفة.
تملّك سيدنا الغضب فخاطبهم بلغة لم يفهموها:
- أيها الأوباش عودوا من حيث جئتم لقد أفسدتم علي خرجتي وأفسدتم نشوتي. إنكم دون شك سبب هذا البلاء الذي أصاب جمهوريتي السعيدة، أنتم سبب مجيء الجراد والجفاف والصحراء القاحلة.

ولأنهم كانوا لا يفهمون لغته راحوا يصفقون ويدعون له بطول العمر ولكلبته أيضا.

تقدم أحد أبناء الجمهورية من سيدنا وتعلق بركابه راغبا في تقبيل قدمه، لكنه ركله فسقط على الأرض ورفسه الحصان الأدهم بحوافره. لم يفهم أحد سلوك سيدنا.. ولما سألوا وزير الطالع

أخبرهم أن سيدنا غاضب منهم، لأنهم لم يرتقوا إلى الشعب الذي يرغب في حكمه وقد خيبوا أمله، وأصيب بإحباط كبير وسيعود إلى قصره ولن تروا وجهه أربعين سنة أخرى.

قال مواطن صالح من أبناء الجمهورية، كان قد تحول إلى غراب حزين حط على جدار آيل للسقوط يتابع المشهد المأساوي، و لم يكن إلا المخطار المنكوب المطارد الذي تبخر ذات أزمة:

القحط والجوع والجراد وزحف الصحراء والندرة وارتفاع الأسعار والنهب والسلب والفساد وجورالضرائب.. وسيدنا غاضب على الرعية يا للكارثة. طز طز.. يا سيد الخراب.

فصل في ذكر مكيدة ستوت لنطفة عذراء الجمهورية

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا إن ستوت أم البهوت الله لا يرحمها نهار تموت، كانت أكبر قوادة في الجمهورية تعمل في وزارة اللذة في حماية رئيس المليشيا تقوم بالتسلـــل إلى بيوت المواطنين والحمامات والأعراس والمآتم وتتجسس عليهم وتكشف أسرارهم. وخاصة إذا لم يصرحوا بفتاة جميلة ناضجة جنسيا وأخفوها عن سيدنا.. تأخذ اسم الفتاة واسم والدها وعنوان البيت وتقبض عمولتها، وتترك الباقي لرئيس المليشيا وجواسيسه ليقوموا بتدبير مؤامرة القبض على الفتاة بعد تأديب والدها، ثم أخذها إلى جنـــاح وزارة اللـــذة. «يدوشونها» ويلبسونها أحسن الملابس الجميلة المستوردة من الصين والهند وطشقند ويعطرونها بأحسن العطور والأطياب، ويعلمها خبراء أجانب ما تجهله من فنون الرقص والغنج والدلال والغزل وإثارة الشهوة، لتنتظر ليلتها السعيدة مع سيدنا المحترم.

يقوم وزير اللذة بالإشراف الكامل على العملية من أولهـــا إلى آخرها.

في إحـــدى الجولات، كشفت ستـــوت أم البهوت -الله لا يرحمها نهار تموت- سرا عظيما ظل لسنوات دفينا. سيقلب شؤون الجمهورية رأسا على عقب.

الشيخ المهدي الإخجاني الذي جاء من المشرق مع الحجيج متنكرا في زي معلم للقرآن استطاع أن يكسب ثقة الجميع بما أبداه من تقوى وصلاح أصبح زعيم جماعة سلفية معروفة لدى رئيس المليشيا بكرهه لسياسة القصرالجمهوري ولسيدنا نفسه. استطاع هذا الماكر أن يجمع حوله المهمشين والمنبوذين والطامحين، ويشحنهم بخطبه النارية ليقوض أركان القصر الجمهوري.

حتى الزواج منعه على نفسه رغم أنـــه لا يفتأ يؤكد أنـــه سنة مؤكدة. لتحصين النفس عن الهوى والزلل. والنبي الكريم نفسه تزوج تسع نساء وكان يقول لأصحابه دون خجـــل: حبّب إلي الطيب والنساء.

كان شيوخ القبائل يتنافسون في كسب ثقتـــه والتقرب منه ويترددون إليه لقبول مصاهرته. أحيانا يأتون ببناتهم الأبكار طلبا للرقية من العين أو مس من الجن أو من عيـــون ستوت وزعيم الميليشيا.

كان في كل مـــرة يسمح له مقامه الرفيع أن يرى الجمال الخلاب للحوريات اللواتي يسوقهن قدرهن إلى زريبة سيدنـــا ليعبث ببكراتهن وأنوثتهن. كان يتألم في داخله، وهو صاحب دعوة ورسالة، هل يفوز بواحدة منهن على حساب مشروعه

السياسي الذي قد تعصف به رياح الغيرة والحسد فتفسد كل أطواره ومراحله؟ أو يدوس القيم والشرع ويختلـــي ببعضهن ويقضي وطره منهن، دون رابط شرعي، فيخون هؤلاء الآباء الأتباع الحلفاء، ويدوس على الشريعة التي يغرس مبادئهـــا في قلوبهم وصدورهم؟

كان يعمل جاهدا على مجاهدة نزوات النفس ومقاومة الفتنة بالتسبيح والتكبير والحوقلة، لكنه كان محظوظا بالاحتلام، فيقوم كل صباح، حتى في الأيام الباردة، قبيل الفجـــر يغتسل من الجنابة، ويؤم الجماعة كعادته، دون أن يتخلف يوما، حتى لا يترك الفرصة للألسنة لتنسج حوله الأقاويل والأباطيل.

كان يستبعد الزواج حتى لا يغضب القبائل المتحالفة معه ولا يرفع بعضها على بعض، مبديا السلاسة والمرونـــة والعدل في قيادة الحلف الزاحف نحو القمة لإقامة دولة الحق وإزالة دولة الفسق والباطل والبهتان.

رغم أنه لم يتزوج، كانت له بنت «نطفة» في غاية الجمال والفطنة، أثـــارت حيرة الجميع، لكن لم يجـــرأ أحد ويطرح عليه السؤال الذي يطرحه أبنـــاء الحلف في أنفسهم وأحيانا يتهامسون به. إنهم يعرفون تقواه وورعه. جربـــوه مرات مع بناتهم الأبكار لكنه كان مؤدبا وخجولا ولم يبد يوما سلوكا يمس بسمعته وشرفه وعصمته.

كان يلمح لهم أن القدرة الإلهية التي أنجبت عيسى ابن مريم دون أب ليست عاجزة عن إنجاب هذه الطفلة دون أم. صدقوه وأضافوا هذا الإنجاب الغريب المبارك إلى كراماته التي حباه بها الله تعالى دون غيره.

إزداد انصياع الأتباع له. أصبحوا أكثر انقيادا وطاعة. لكنه لم يصرح بنطفة لوزير اللذة فكبرت متنكرة في زي شاب مغوار تدرب على ركوب الخيـــل ومنازلة الفرسان. استطاع أن ينقذ عشرات الفتيات من قبضة رئيس المليشيا، قبل أن ينكشف أمره من طرف ستوت القوادة التي عملت المستحيل لمعرفة حقيقته. بعد أن استاء سيدنا من منافسته له في عشق النساء، وإنقاذ بعضهن من فراشه.

شعره أسود يلفـــه تحت عمامة بيضاء وإذا أطلقـــه حجب ضوء الشمس.. وجماله يضيء الليالي الحالكة. وذكاؤه يسلب العقول. لذلك تعشقه النساء وأصبح ينافس سيدنا في عشق نساء الجمهورية.

قالت ستوت أم البهوت -الله لا يرحمها نهار تموت- لرئيس الميليشيا قبل أن تكشف السر وهي تحـــاول أن تعرف قيمة الجائزة التي يمكن أن يمنحها لها سيدنا.

ماذا يمنحني سيدنا لو أحضرت له غريمه إلى فراشه؟

قال رئيس الميليشيا: إلزمي حدودك أيتها القوادة. سيدنا ليس منحرفا حتى تحضري له غريمه إلى الفراش؟

قالت ستوت: عفوا سيدي هذا الذي نبحث عنه امرأة اسمها «نطفة» في غاية الجمال والسحر والرقة. لن أستطيع وصفها، مهما حاولت. فقط أصفها بما قاله ابن قيطون في حيزية[1].

تسوى ميتين عود — من خيل الجويد
ومية فارس زيد — غير الركبية
تسوى من الابل — عشرمية تمثيل
تسوى غابة النخيل — عند الزابية
تسوى خط الجريد — قريب وبعيد
تسوى بر العبيد — حوسه بالفليه
تسوى عرب التلول — والصحرا وزمول
ما تمشات القفول — عن كل ثنية
تسوى اللي راحلين — واللي في البرين
تسوى اللي حاطين — عادوا حضريا
تسوى كنوز الدلال — باهية اللآنجال
واذا قلت قلال — زيد البلديه
تسوى مال النجوع — والذهب المصنوع
تسوى نخل الدروع — تسوى الشاوية
تسوى اللي في البحور — البدو وحضور
اعقب جبل عمور — واصفي غردايه
تسوى تسوى مزاب — وسواحل الزاب
حاشا ناس القباب — حاشا الاوليا

١- مقطع من القصيدة الشعبية حيزية للشاعر ابن قيطون.

تسوى خيل الشليل نجمة شاوالليل
هذا قليل قليل في اختي طب دوايا

سمع وزير اللذة حكاية نطفة العجيبة من فم رئيس الميليشيا، لم يفوت لحظة لإخبار سيدنا بالمفاجأة السارة. كلفه سيدنا فورا بالذهاب إلى الشيخ المهدي الإخجاني والد نطفة يطلبها لفراشه وإلا كانت نهايته مأساوية.

وحمله رسالة شفوية ملخصها :

- اذا غضضنا طرفنا عن نشاطك الديني السياسي فلن نغضه عن ابنتك الفاتنة التي بلغنا خبرها وجمالها.. أرسلها إلى وزارة اللذة وإلا أرسلت إليك من يقطع رأسك أو أيرك..

شعرالشيخ الإخجاني بالخوف الحقيقي يحيط به وبابنته الوحيدة «نطفة»، بعد انكشاف أمرها من قبل ستوت -الله لا يرحمها نهار تموت-.. إنها شرفه الذي ظل يحميه طوال هذه السنوات في انتظار الفرصة السانحة للإنقضاض على الحكم الفاسد وتهديم أركان عرشه. حقا كانت عيون جواسيس سيدنا أسرع.. كان يظن نفسه أقدر على الوصول إلى رأسه قبل أن ينكشف سر ابنته العزيزة.

فكر في كل الطرق التي ينقذ بها شرفه من تدنيس سيدنا.. في هذه الحالة ذبح نطفة يجوز. تقديم رأسها لسيدنا أفضل من تقديم شرفها. رأسها يمثل الرجولة والشهامة بينما شرفها كل النذالة والخسة والطحين. هل من المعقول، وبهذه السهولة

والبساطة، أن يضحي بها ويسلمها له ليفترسها مثلما افترس الأخريات وقد احتفظ بها لسنوات متحديا كل القوانين الصارمة التي سنها سليل بني الأغلب..

أصبح وجهه مكفهرا مهموما وقد أعطى مهلة لوزير اللذة للرد الإيجابي..

فاتحها، بعد أخذ ورد وتردد، في الموضوع. أطلعها على ما سيقدم عليه ليحمي شرفه، ودعوته ومشروعه السياسي، راجيا منها أن تطيع قراره وتعذره على ما أقدم عليه.

- سأرتكب ما لا يرضي الله لإرضائه.. سأقدم رأسك يا عزيزتي لسيدنا حاكم بني الأغلب.

تبسمت نطفة وقالت له:

- ولكني سأعصيك لإرضاء الله.. إسمح لي يا أبي بالذهاب إليه.

قال لها:

- ولكنه حاكم فاسق ويريد بشرفك السوء وسيرته مع بنات الجمهورية على كل لسان.. لن أقبل ذهابك إليه، ليأتني خبرشرفك على صوت بوعبيدة البراح، هذا الديوث الخبيث مشيع الفاحشة.

قالت له نطفة:

- لا تخف يا أبي ما دامت نقطة ضعفه معلومة دون شك فإن مفتاح شخصيته عندي. شرطي الوحيد للذهاب طوعا إلى قصره أن ألقي عليه لغزا:

إذا انشق السما واش يلاقيه،

وإذا نشف البحر واش يمليه،
وإذا فقر السلطان واش يغنيه؟

ثم ألعب معه الدومينو في ليلتي فإن غلبته أمليت شروطي عليه ومن الواجب عليه أن يحققها لي وإن غلبني من حقه أن يملي علي شروطه ومن الواجب أن أحققها له.

لا تخف.. يا أبي أعدك، بأني سأنال منه وأخلص بنـــات الجمهورية من شره. لن يستطيع أن ينال مني ما يريد. سأفعل به ما فعلت دليلة بشمشون الجبار.

قال والدها متعجبا: من هي دليلة ومن هو شمشون الجبار؟

لم تجبه نطفة. بينما ظل سؤاله معلقا بدون جواب.

كانت ثقة الإخجاني كبيرة في ابنتـــه الفاتنة نطفة التي رباها أحسن تربية، ويعرف جيدا -كما لا يعرف أحد غيره- ذكاءها وفطنتها وحكمتها وقدرتها على صون شرفها.. ولكنه لم يستطع أن يتحكم في نفسه، هذه المرة، بكى بكاء الثكلى..

فصل في أخبار السيد المهدي الإخجاني

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا أن من ألقابـــه الشيعي والصنعاني نسبة إلى صنعاء اليمن وبهذا اللقب كان يسب ويلعن ويشهر به في القيروان ورقادة بعد نجاح دعوته ضد سلالة بني الأغلب. وهم الغالبون بفضل الله. عرف بالمحتسب، لأنه مارس الحسبة في بعض مدن العراق، والحسبة كما يعرف الجميع، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المدينة الإسلامية. عرف بالمعلم، لأنه كان يتستر بالتعليم، ليدرك غايته السياسية. ظهـــر ذلك في مكة وفي كتامة أيضا. واشتهر أيضا بلقب الصوفي، لتقشفه في الحياة، ولملازمته للبس الخشن من الثياب وفي الجمهورية عرف بجملة ألقاب أخرى هي: الأهوازي، نسبة لإقليم خوزستان أو الأهواز كما عرف بصاحب البغلة الشهباء، أو البلقـــاء وبالمشرقي لمجيئه من المشرق. ولقب في كتامة بلقب السيد، تعظيما لقدره والحجاني أو الخجاني تحريفا لنسبته إلى إيخجان في أرض كتامة.

جماعة السيد المهدي الإخجاني، أولئك المغالون في الدين والذين كانوا ينادون بالعودة إلى إحيـــاء خمسين صلاة شكرا لله على نعمه. والاقتداء بالسلف الصالح، من الخلفاء الراشدين والتابعين، ومن سيرهم كانوا يستمدون شرعية دعوهم. كانوا يحفون شوارهم نكاية في شوارب بني الأغلب السلالة المباركة ويطلقون لحاهم حتى تكـــاد تلامس الأرض. يتآمـــرون على سيدنا والجمهورية ويرمونه بالكفر والزندقة والفسوق. يتخذ اليهود والنصارى مستشارين له، ولا يطبق الشريعة ولا يؤمن بالشورى. أهمل الرعية وأفرط في المجون والعربدة واستعبد الناس وهتك أعراض النساء بغير حق. يصلي بدون وضوء، صلاة الجمعة وهو مخمـــور. وينفق على طاروسته «موسكة» ما لا ينفقه على شعبه ورعيته. يستشيرها في القضايا المصيرية. يقول ساخرا لمقربيه وحاشيته: ذنبها القصير أفضل من عقل ألف عالم في الجمهورية. يهدد أحيانا بتعينها خليفته. نكاية في الشعب وإمعانا في الإهانة والبطش والسفه. إنه فرعون هذا الزمان. ولا بد له من موسى، يهديه إلى الصراط المستقيم أو يستدرجه لمنازلة فاصلة تغرقه بإذن الله في بحر غيه وشروره.

استطاعت هذه الجماعة الرافضة أن تستغل الفوضى التي تتخبط فيها الجمهورية والفراغ القانوني لتنشط على الهامش وتجند أنصارها وتحشدهم لليوم الموعود، لتقويض أركان الحكم الفاسد وإقامة الدولة العادلة دولة الشريعة التي لا يظلم ولا يجوع فيها أحد.

كان السيد المهدي الإخجاني رجلا متوسط القامة نحيف البنية غائر العينين يلبس البياض وحولـــه كثير من الغموض. جاء مع الحجيج معلما بسيطا ثم أصبح قاضيا. بعد أن وثق فيه أهل إخجـــان، أصبح الآن قائدهم وأميرهم وزعيمهم الروحي، جمع الأنصار والحـــواريين والمقاتلين وأحكم قبضته على الجميع، زعم أنه صاحب الوقت، وأنه مأذون وأن دعوته مستجابة والنصر حليفه حيثما توجـــه، لأن رماح ونشاب ومدافع الطاغية سيدنا لا تصيبه وأتباعه بإذن الله تعالى.

تبعه نفكر كبير من الناس، ثم انضمت إلى صفوفه فئات أخرى من المهمشين والمحقورين والحاقدين والطامعين والخلاطين وكذا بعض القبائل التي تروم الثأر لنفسها ولشرفها من جور سيدنا الحاكم بأمره وبمشورة كلبته العزيزة وحاشيته والبارونات والمشامشية الذين عاثوا فسادا وتخريبا في الجمهورية.

فصل في قبول سيدنا شرط الفاتنة نطفة وهيامه بها.

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا أخبر وزير اللذة سيدنا حاكم الجمهورية، سلطان السلاطين سليل سلالة بني الأغلب الميمونة،الغالبون بإذن الله، بشرط الفاتنة نطفة بنت السيد المهدي الإخجـــاني، وسلمه رسالة منها تقول فيها:[2]

أنا سليْلةُ البحَّارةِ المتمرِّدينَ على الشواطئ.

ابنة الموجِ والذاكرة.

آخر من تبقى ممن تَنازَل لهم شمشون عن شَعرِه فانْتفَض فتاةً بِكر

أنا آخر سلالة الأنوثَةِ الطَّازَجةِ والمعتَّقة.

أفتحُ ذراعيَ فيبدأ الكون دورته الأحادية الاتجاه.

أبتسم.. فيقطر العسل من شفاهي البكر اللعوب.

أخطو.. فتفقد الكرة الأرضيَّة توازنها

وحينما تجلْجلُ ضحكتي تسمع أجراس الزلازل والبراكين تخلخل أنظمة الطبقَات السبع

٢- قصيدة حالات للشاعرة الفلسطينية فاتنة الغرة.

أنا ابنة اللهو والعفاف
ابنة الفسق والطهارة
ابنة السواد والبياض
على حَدِّ إصبَعي تختلِف النُّجوم حَول تحديدِ مواقِعها الأولى.
وإنْ أغمضْتُ عينيّ
حلَّ الكسوف بالعالم حتى تتفتحا فتغرقاه أشعَّةً بِلونِ الخروب.
وحينما أرمي بخصلات شعري للوراء
يرتجِفُ الكونُ إجلالاً وخشوعاً
أنا اليوم والغد
صاحِبةُ الجلالة المتوَّجَة على عَرْشِ الفَضاء
أشيرُ بطرف عيني فتنقلب الحقولُ قمحاً وشموساً خضراء
وأنا القمحُ والشُّموس الخضراء
وأنا الحصادُ الأول
والحصاد الأخير.

أعجب سيدنا بما جاء في رسالة نطفة، إعجابا لا نظير له، احتار في أمرها. أي أنثى هذه؟ وهل إنسية أم جنية؟

رغم أن كلبته موسكة كانت حاضرة في مجلسه، لم يستشرها فيما سيقدم عليه من قرار تاريخي مصيري مثلما يستشيرها في كل القضايا الحساسة. حتى لو استشارها أكيد لن تؤيد قراره بتحريك ذيلها القصير.

قبل سيدنا شرط نطفة، دون تردد أو وجـــل من العواقب المترتبة على ما أقدم عليه، بقراره الإنفرادي، لأنه كان ماهرا في لعبة الدومينو. لم يسبق لأحد أن لعب معه وهزمه. ولكنه تساءل بينه وبين نفسه: أي لغز تريد أن تلقيه علي هذه الفاتنة الساحرة لونجا بنت لسلطان؟

حاول سيدنا أن يحتـــاط لأن نطفة بنت المهدي الإخجـــاني لم تكن مثل الأخريـــات اللواتي مررن بزريبة قطيعـــه ومجالس سمره وبفراش شهوته العجيب. لم تنس نطفة الفاتنة أن ترسل مع المرسول خصلة من شعرها الطويل حملها مائـــة فارس. كانت مضمخة بعطرها الشرقي الذي يسحر الألباب. لما لمستها أصابع سيدنا انبعثت منها روائح العطر الفواح.. راح يشمها ويدور في مكانه ويصيح بأعلى صوته:

- وأخيرا وجدتها.. وجدتها.

تعجّب «وزيراللذة» من سلوك سيدنا. ظنـــه فقد صوابه. لم يسلك يوما مثل هذا السلوك رغم عجرفته وطيشه وعربدته. تبـــادر إلى ذهنه أن تكون نطفة قد سحرتـــه. راح يناديـــه بأعلى صوته:

- سيدنا.. هل أنت بخير..!؟

لم يرد سيدنا بكلمة. أو التفاتة. بدا كأنما أصيب بمس من الجن. دخل غرفة نومه وأغلق وراءه الباب. اعتزل نساءه وجواريه ومجالس لهوه. ومن يومها وهو يحتضن الشعرة كالمجنون مدة شهرين متتاليين. بعد هذا الصمت المريب نادى وزير اللذة وقال له:

– د ع بوعبيدة البراح يخرج ويعلن في الناس أني قررت تطليق كل نسائي والتخلى عن عشيقاتي ومحظياتي وجواريي، وأرفع يدي عن بنات الشعب العظيم، وأغلق زرائب الحريم إلى الأبد.

استدعى الوزير البراح بوعبيدة وأملى عليه ما أمره به سيدنا. خرج البراح على بغلته الشهباء، وأسمع الناس ما أمر به سيدنا. إحتار أبناء الجمهورية. لم يصدقوا. لم يفرحوا عند سماع الخبر لأنهم لم يفهموا سرّ تخلي سيدنا عن كل هذه الهالة والأبهة التي توفر له اللذة والشهوة. خافوا أن تكون نزوات سيدنا انحرفت وتطالب بما هو أكبر وأعظم.. باتوا يترقبون الصباح وما يحمله من أنباء غير سارة.. كان «الرجالة» هذه المرة أكثر خوفا على مؤخراتهم.

قالوا: جاء دورنا، ليفعل بنا ما فعله ببناتنا ونسائنا.

فصل في ذكر تأهب السيد الإخجاني للإنتقام من سيدنا

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا لم يستطع السيد المهدي الإخجاني أن يصبر على الحرج الذي وجد نفسه فيه. خطب في أول جمعة على أنصاره، كما لم يخطب من قبل. مبيديا الشدة والحزم. بعد أن صلى وسلم على النبي المختار وعلى التابعين الأخيار وذكر أنصاره وأحبابه ومريديه، بآيـــات الجهاد. أمرهم بالجهـــاد المقدس، للإطاحة بالطاغوت وحاشيته وإقامة دولة الحق، دولة الخلافة الراشدة التي تؤلف بين قلوب المؤمنين وتقيم العدل.

تحمس الأنصار ورددوا بصوت واحد.. الله أكبر.. الله أكبر.. فليسقط الطاغية. فليسقط سليل بني الأغلب. لعنهم الله. تصاعدت أصداء أصواتهم في السماء اهتز لها عرش جمهورية سيدنا.

بعد صلاة الجمعة توجه بهم إلى القصر الجمهوري. كانـــوا مشحونين بإيديولوجيته الإنقلابية. وكان في غاية الزهو وهو يقود الحشود الغاضبة. زعم أنـــه مأذون بذلك وأن أنصاره لن يصيبهم الأذى بإذن الله، وأن نهاية هذا الفرعون الطاغية ستكون على يديه وأنصاره إن شاء الله.. كان أتباعه مدججين

بالعصي والهراوات والرفوش والفؤوس وقنابـــل المولوتوف. وكانوا مدججين بحقد دفين في صدورهم، جـــراء ما اعتراهم من ضيم السلالة الجائرة الفاسقة. كان في مقدمتهم، يحمسهم ويشجعهم بأن الملائكة ستقاتل معهم وأنهم لمنتصرون بحول الله.. وأن هناك إخوان لهم داخل القصر الجمهوري كانـــوا عيونه يسربون له الأخبار. أكـــدوا له رفضهم فساد وطيش ونزق سيدنا كما أكـــدوا له أنهم سيساندونهم ويفتحون لهم الأبواب متى تحين ساعة الحسم.. وأن الطير الأبابيل ستأتي في الوقت المناسب وترميه مثلما رمت أبرهة الحبشي بحجارة من سجيل. إنه تاريخ الجبابرة يعيد نفسه.

بلغوا أسوار القصرالحصينة. العرق الممزوج بالمسك يتصبب من جباههم. ينشر رائحتـــه في المكان، والشك يتسرب إلى دواخلهم. أمرهم قائد الميليشيا بصوت خشن أن توقفـــوا أو عودوا من حيث جئتم وإلا فإنكم ملاقون الويل. سدوا آذانهم، حتى لا يتأثـــروا تحت أي ضغط أو تهديد أو وعيد. واصلوا الزحف جنبـــا إلى جنب في صف واحـــد، مرصوص كالبنيان. زادتهم رهبة ملابسهم البيضاء وهتافهم المدوي الله أكبر.. ليسقط سيدنا الطاغية.. سليل بني الأغلب.. فرعون هذا الزمان.. لما لم يتوقفوا أمر قائد الميليشيا المرتزقة برميهم بالنبال والرماح والمنجنيق والمدافع والقنابل الحارقة والمسيلة للدموع.. سقط بعضهم بين ميت ومغشي عليه، وبين مفجوع

ومرعوب، وبين مصدوم وتائه، بينما واصل الآخرون المسيرة، غير آبهين بما يعتريهم من مشاق ومهالك مصدقين زعمه وادعاءه بأنهم لا يمكن، في كل الحالات والظروف، الصعبة والأليمة والدامية، أن يصابوا بسوء.. وأن أنصارهم الرافضون للاستبداد ولكل مظالمه سيفتحون لا محالة وبإذن الله الأبواب الموصدة مؤازرة لإخوانهم لتقويض أركان هذا الحكم المستبد الفاسد، عليه لعنة الله.

فصل في أن سيدنا سيتزوج نطفة بنت الشيخ الإخجاني

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا في الصباح أمر سيدنا وزير اللذة أن يطلب بوعبيدة البراح ويأمره بأن يعلن في الناس بأنه قرر أن يلغي القانون الذي يجبر الآباء على التصريح ببناتهم لدى وزارة اللذة. خرج البراح على بغلته الشهباء وأعلن ما أمره به ففرح الناس بالخبر لكن فرحهم لم يدم لأنهم شكوا في الأمر، وخافوا من نزوات سيدنا..

وفي اليوم الموالي أمر سيدنا وزير اللذة بأن يأمر البراح بالإعلان في الناس أنه سيتزوج العذراء نطفة وأنه سيجعـــل كل أيامها أفراحا تختلف عن بعضها مهما كلفه ذلك، حتى لو أنفق كل ما في بيت مال المواطنين. وأنه سيجعل قميص ليلتها راية جديدة للجمهورية التي لا يغيب عنها الرمل والضجر والكسل..

فصل في وصف ما جرى لأنصارالإخجاني

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا قام أنصار السيد الإخجاني بالإعتصام قبالة باب القصر الجمهوري، مدة شهر كامـــل، بل أكثـــر من ذلك. معلنين العصيان المدني. بعد أن سرب لهم أحد أنصارهم كتيب «ثورو». طبعوا منه نسخا كثيرة ووزعوها على الأنصار الذين تحمسوا لتطبيق كل ما جاء فيه من أفكار نيرة. أصبحوا يقومون بالصلاة المفروضة والنوافل. يأكلـــون ويشربون ويتغوطون وينامون هناك، ويقومون بالهتافات المناهضة لسيدنـــا متباهين بقوتهم ورهبتهم.

خرج إليهم رجال البوليس يلبسون الخوذات والدروع. إنهالوا عليهم ضربا بالعصي. هشموا رؤوس بعضهم فتناثرت على الأرض. ثم خرجت القوات الإحتياطية الخاصة وحاصرتهم من كل الجهات. أحرقوهم بالنار بعد أن سكبوا عليهم زيتا ساخنا. لكنهم كانوا صابرين يتألمون في صمت ولا يظهرون آلامهم لأعدائهم حتى يؤثروا فيهم، وينقلب الرعب إلى قلوب الجلادين. كان إيمانهم بقضيتهم يدفعهم لتحمل كل المصاعب

والمتاعب. لقد صبر أسلافهم على الأذى حتى مكنوا لدين الله في مشارق الأرض ومغاربها. وصبر موسى وأصحاب الأخدود وعيسى والحواريون. النصر المبين يكون دائما، رغم المحن، للرسالة الربانية. «إن بعد العسر يسرا».

لم تبق الأمور على حالها. نفد صبرهم. وما كان يجب أن ينفد. لم يستطيعوا مواصلة هذه التجربة الغاندية الأليمة، لا يفل الحديد إلا الحديد، ولن يرد العنف إلا العنف اللعين. قال حمداد الأفغاني. صاحب الإديولوجية الجهادية العنيفة.

دب الرعب في صفوف أصحاب السيد المهدي الإخجـــاني صاحب الدعوة. تراجعوا إلى الخلف. بين قتيل وجريح ومصدوم ونادم. سلم بعضهم أنفسهم طائعين خوفا على أنفسهم من القتل من طرف القوات الخاصة واعترفوا بخطئهم خوفا من التعذيب والتنكيل. تحمل بعضهم أنواع العذاب والحرق والتنكيل.

في الليل عاود السيد الإخجاني الكرة. استجمع قواه الخائرة، بعد أن رفع معنويات أنصاره، ووعد من سقطوا في هذه المحنة بأن موعدهم الجنة. جدد العهد أمام الصامدين بأن النصـــر آت آت ويراه قاب قوسين أو أدنى. مثلما يرى النجوم المتلألئة في سمـــاء الجمهورية الواسعة.

فصل في ذكر ما جرى لشباب الجمهورية

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا في موكب كرنفالي صاخب بهيج وعجيب متعدد الألوان مثل قوس قزح، مزركش بالأعلام والرايات، ومتعدد العطور والطيوب والأبخرة، زفّت العذراء نطفة إلى سيدنـــا. كانت محروسة بالفرسان والميليشيا، لصد أي اعتداء غاشم. لم تثن أباها على المواجهة، لكنها كانت خائفة على انشقاق أنصاره بعد أن استطاع حمداد الأفغاني أن يجـــد له وأنصاره المقاتلين، مؤيدين كثيرين داخل التنظيم، استطاع أن يستميلهم إلى إيديولوجيته الجهادية.

طلبها حمـــداد للزواج. لكنها رفضت الارتبـــاط به، رغم إعجابها به. لأنه تحرش بها في إحدى لقاءاتهما العابرة. لم يستطع أن يتحكم في نفسه. مدّ يده إلى صدرها وكشف لها عن عورته دون خجل. كاشفا عن وقاحة وسوء أدب. حاول أن يضغط عليها باللجوء إلى والدها. لكنه لم يستطع أن يقنعها.

غضب حمداد واتهم والدها بتهم أقـــل ما يقال عنها باطلة ومتهافتة. كان الشرر يتطاير من عينيه وهو يزبد ويهدد كأنه صعلوك وقح سيء السمعة.

كانت نطفة في طريقها إلى سيدنا تلبس لباسا أنيقا يليق بها كأنثى ذات حسن وجمـــل وتتقد ذكاء وفطنة بعد أن ظلت لسنوات تتخفى في لباس الرجال الذي أخفى كل مفاتنها.

كان شعرها الطويل يتماوج خلفها. يحمله مائة فارس.. وكان الشباب المراهقون الذين قهرهم الزمان والبطالة والعزوبية والخوف ينتحرون كلما مرت بهم. كيف لسيدنا الذي نام مع معظم نساء الجمهورية الفاتنات وحصد بكاراتهن وافترسهن في لياليه الداعرة أن يستولي على هذا الجمال الخلاب الذي يأسر الألباب.. إنـــه لطاغية وديكتاتور كبير. ويستحق أن نحاربه كما يحاربـــه أبوها المهدي الإخجاني وأنصاره، فإذا كانوا هم يحاربون من أجل الدين، نحن نحاربه من أجل الزين. كان الآباء الذين عانوا من ويلاته وشطحاته وجبروته وشبقه وتحرشاته يستميتون في إقناع أبنائهم بالعدول عن الالتحاق بكتائب الإخجاني، لأن العدالة الإلهية، بعد سنوات الظلم المر، لا محالة ستنصف أبناء الجمهورية، وتقتص لهم من سيدنا بعد زواجه من نطفة الفاتنة. كل الدلائل تؤكد أنها العذراء التي تحدثت عنها نبوءة الولي الصالح سيدي لخضر البوهالي.

لما دخـــل موكب العروس القصر الجمهوري، خفق قلب العروس نطفة خوفا على نفسها من السقوط في قبضة شهوة سيدنا. شعرت بأنوثتها تتحرك داخل جلدها، وعواطفها القاسية تجاه سيدنا بدأت تلين. أصبحت أكثر لطفا وانسجاما مع الواقع

الجديد. دام العرس سبعة أيام وسبع ليال. أكل المدعوون وشربوا ما طاب لهم من الخيرات التي حملتها البواخر من وراء البحار لهذه المناسبة السعيدة.. وأسرفوا في الأكل والشرب والتغوط والتبرز واللهو والفسوق والمناكر.. كان عليها أن تأخذ أثناء هذه الإحتفالية الكبرى دورات روتينية على أيـــدي المدربين الأجانب في الرقص والغناء والتدليك والغنج والدلال، إنهـــا الجسد الأبدي العظيم الذي سيسكن إليه سيدنا طوعا وعن طيبة خاطر. القلب وما يريد.. لا إكراه في العشق. خارج الأسوار كان دهماء وغوغاء الجمهورية ينتظرون ليلة الدخلة بفارغ الصبر. الصرخة التاريخية للمرأة التي أحبها سيدنا وأعتق من أجلها كل النساء والجواري والخادمات، والمحظيات ورفع يده الظالمة على رعيته بسببها. كما ينتظرون رمي القميص من نافذة القصر الجمهوري، لتحمله جموع الغوغاء وتطوف به في أرجاء الجمهورية ليراه كل السكان، ليرفع بعد ذلك في سماء الجمهورية ليصبح راية جديدة للعهد الجديد. سيكون الشرف العظيم للمحظوظ من يمسك بالقميص أول مرة، أن يكون هو من يرفعه في سماء الجمهورية، فينال جوائز وعطايا سيدنا ويخلد في ذاكرة الأجيال.

كان السواد الأعظم منهم يتوسمون خيرا في الفاتنة نطفة سيدة القصر الجمهوري الجديدة. دون شك ستكبح جماح شهوة سيدنا وتقلم أظافر سطوته وتعجرفه، ويصبح لها الشأن الكبير

في تسيير شؤون الجمهورية، وتضع نهاية لهذه الأسطورة العجيبة. إنها دون شك المرأة التي تتحدث عنها الأسطورة، وكان سيدي لخضر البوهالي الولي الصالح يبشر بها منذ قرون.. حتما ستفلح بذكائها في حلق شواربه مثلما حلقت دليلة شعر شمشون. وتنهي مأساة الشعب العظيم بعد جور سلالة بني الأغلب..

كيف يكون رد فعل سيدنا هل يستسلم لقدره؟ أم يقول مثلما قالها شمشون علي وعلى أعدائي.

كانت كتائب وفيالق السيد الإخجاني، مرابطة خارج أسوار القصر الجمهوري، متأهبة ملتهبة متأججة، مدججة بأنواع الأسلحة، تتحيّن الفرصة السانحة للهجوم الفيصل الكاسح، لوضح حد للمأساة التي تناسلت طيلة هذه القرون البليدة.

فصل في أن الحديد لا يفل إلا بالحديد

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا كان أنصار السيد الإخجاني، هذه المرة، مثل السيل الجارف. كانوا أشداء أقوياء، عنيفين ودمويين أكثر، كما لم يكونـــوا من قبل، أو كما كان يبدو عليهم على الأقـــل بعد أن تخلصوا من تأثير أفكار قائدهم السلفي، المتماهية مع سيرة الصحابة في مجاهدتهم للكفار والمشركين. كانت إيديولوجية حمداد الأفغاني تتوغل وتنتشر بين رجال الدعـــوة الذين تحولوا فجأة إلى مقاتلين شرسين، يبطشون بعدوهم. لا تأخذهم به رأفة أو شفقة. استطاعوا أن يقبضوا على بعض رجال البوليس رهائن ثم مالبثوا أن نزعوا ملابسهم وعذبوهم وهم عراة، ونكلوا بهم مثلما فعلوا بهم من قبل. ولعبوا بأيورهم قبل أن يقطعوها. كانوا ينتقمون بسادية وحشية أكثر، متلذذين ومبتهجين بقدرتهم على البطش. ورد الصاع صاعين، السن بالسن والبادئ أظلم. كما ينفخ حمداد في أرواحهم كلما أخذتهم رأفة أو شفقة. قتلـــوا بعضهم وبقي آخرون يترفون ويتألمون ويستعطفون طالبين الرأفة والرحمة. كانوا يتصايحون مهللين. الله أكبر لقد مكننا الله من الطواغيت. أزلام النظام.

خارت قواهم ويئسوا من فتح الباب ومؤازرة الأنصار من داخل القصر الجمهوري. أطلق عليهم فريق الكلاب المدربة، ألف كلب «دوبرمان» مدرب على القتال، لم يذوقوا الطعام واللحم مدة أسبوعين. هاجمت الكلاب المتظاهرين وافترستهم. تطايرت أشلاء الجثث وتقاطرت الدماء وسالت في المجاري. انبعثت رائحة لعينة تزكم الأنوف والضمائر.

اشرأب الفزع في النفوس.

يا للهول.. يا للفظاعة..

أثناء التراجع المهول. أصيب السيد الإخجاني في ساقه. رفعه أصحابه وساروا به بعيدا حيث لا تراه أعين العساكر والجواسيس.

في الصباح خرج رجال المخابرات إلى الشوارع منتحلين ألف قناع لإلقاء القبض على مدبري الإنقلاب والمتعاطفين معهم وخاصة زعيمهم الإخجاني، قتلوا واعتقلوا كل رجال وشباب الجمهورية الذين اشتموا فيهم رائحة التآمرعلى القصر.

قبض على الإخجاني في مخبئه السري بعد أن باعه أحد أنصاره ومؤيديه حمداد الذي استلم المكافأة وغادر مع أنصاره في اتجاه مجهول خارج الحدود.

عذب الإخجاني وشوّه وجهه بالنار ثم زج به في غياهب زنزانة دون محاكمة ليلتهمه النسيان والرطوبة.

فصل في ذكر ما حدث في ليلة الحب بين سيدنا وحبيبته نطفة

رغم ما قيل ويقال.

لم يقولوا في تلك الليلة الجميلة الهادئة الأرجوانية المشهودة، العبقة بروائح الياسمين ومسك الليل. تسلل سيدنـــا حاكم الجمهورية سليل بني الأغلب السلالة المبارك. إلى عروسه نطفة في جناحها الخاص. هذه ليلة ليست ككـــل الليالي. بسحرها وبهجتها. بعد سيجارة البانجو الخامسة كل شيء على ما يرام عواطفه إصطفت كما لم تصطف من قبل تعزف عزفا جميلا، سيمفونية العشق.. كان في قمة النشوة والانتشاء كما لم يكن مرة واحدة في حياته.

تخلى عن بروتوكولات اعتاد أن يحافظ عليها طيلة حكمه باعتباره الحاكم بأمره، الناهي والآمر، الذي تخافه وتهابه الرعية. بدا ليلتها مثل طفل مراهق لا يعرف حدود النـــزق والطيش. تذكر تجربته الأولى مع مدرسة اللغات والآداب الشرقية، تذكر خيانة أمـــه.. تردد.. تراجع قليلا.. إرتبك.. خاف.. شعـــر بالخزي والعار.

كانت نطفة في أبهى ما تكون المرأة في ليلتها.. شعرت هي أيضا بأنوثتها التي ظلت حبيسة السجن الذكـــوري المسيّج بالخوف والفضيحة.

امرأة من بلور.

تفوح بطيوب الكون كله..

حـــاول سيدنا كما لم يحـــاول من قبل، التطلع إلى عينيها الزرقاوين، لكن أجفانهـــا كانت مطبقة مثقلة برموش حيائها. أحست به يقترب يرفل في العـــز والدلال والمجد. راحت تسدل رومش حيائهـــا رويدا رويدا.. لما همّ بنـــزع ثيابه الرسمية ليرتدي ملابسه الليلية الخاصة.. غمزته.. كانت غمزتها كافية لتثير فيه غرائز كانت مدفونة في هذا الجو الاصطناعي الرتيب. ذكرته بشرطها الأساسي.. سيدنا.. لا يحق لك أن تلمس هذا الجسد حتى تفي بوعدك. ارتجف مثل طائـــر في عاصفة هوجاء.. نسي أنه الحاكم الذي يجب أن يحترم ويقدّر حتى في مثل هذه اللحظات الحميمية. شعر لأول مرة بارتباك مراهق يقدم على أول مغامرة مع الجنس الآخـــر. أين تلك الأجساد والأفخاذ والسيقان والنهود والمؤخرات والأعجـــاز والأرداف والأقدام والأصابع التي رآها في حياته وتراكمت في مخيلته. نسي كل شيء. كأنه لم يشاهد شيئـــا في حياته. كأنـــه يقدم على التجربة الأولى. رأى قدميها تمنى لو ينحني ويقبلهما كفاتحـــة لبداية الجلسة اللطيفة، الشهية.. تردد.. خـــاف. هل على مثله أن يخاف. نعم له كل الحرية المطلقة

اليوم.. نعم.. ككل العشاق المتيمين. من حقه ومن الواجب على واحد مثله أن يخاف ويرتبك.. بإرادته.. قرر أن يتخلى عن كل التحفظات والبروتوكولات معها.

عرفت ما يدور ويختلج في نفسه. سحبت برفق فستانها وغطت قدميها الجميلتين. أصيب بخيبة لا مثيـــل لها، كما لم يصب من قبل. كيف كان يحصل على كل شيء يتمنـــاه ولا يتمناه بدون عناء؟ وهاهو يعجز عن رفع الأجفان المسدلة لهذه العذراء الفاتنة، ويتردد في الارتماء على قدميها ليقبلهما حتى لو كان ذلك ينتقص من هيبته كحاكم متسلط يأمر فيطاع، حكم شعبه اللعين، طويل اللسان أربعين سنة كاملة، بالحديد والنار. و لم يستطع أحد ينبس بكلمة.

ماذا يفعل سيدنا وقد أحب نطفة وهام بها عشقا. وقرر أن يعيش معها حياة مختلفة ليس فيها شيء من التصنع والنفاق العاطفي..

إنه الحب الحقيقي.. أخيرا يطرق قلبه، بعد سنوات من الرعب والخوف. هو الآن يريد أن يحب ولا تهمه العواقب التي تنتظره.

الحب قد يحرر الرجال وقد يذلهم..

شعر بالخجل والعار على ما اقترفته سياسته الشمولية الترهيبية في حق شعبه. يا لقسوتي. تمتم سيدنا.. مستحيل لا يمكن أن تجتمع القسوة والحب في قلب واحد.

راح يستعطفها ويترجاها، كما لم يكن يوما حاكما قاسيا متحرشا مبتزا معتديا غاشما.. ترجاها بنبرة العاشق الولهان أن تؤجل شروطها إلى ما بعد الليلة الميمونة التي يتمناها وتنتظرها جماهير الجمهورية.

أصرت نطفة العذراء الفاتنة على شروطها، لأنها ما غامرت بحياتها إلا من أجل مهمة وليس من أجل نزوة.. بينما يراها هو نزوته الأولى والأبدية التي يمكن أن يكون ثمنها حياته وعرش سلطانه الذي حملته سلالة بني الأغلب على أكتافها وحافظت عليه قدرما تستطيع.

طلب من وزيره أن يحضر له أحجار الدومينو، فاستجاب لطلبه في الحين و لم يتردد لحظة أو يتباطأ، ولكنه ذكره وهو يضع الأحجار بين يديه، بضرورة الإسراع في إنهاء الليلة بسلام لأن الجماهير ساهرة خلف الأسوار حاملة في يدها الشموع، تنتظر قميص العهد الجديد.

كان سيدنا منتصبا في كامل شهوته واستعداده ليغلبها.

سأغلبك.. سأغلبك أيتها الفاتنة المشاكسة وأنال منك.

لم يشك لحظة أنه يمكن أن يخسر أمامها فتنهار أحلامه. لذلك ذكرها بقبول شرطه عندما تخسر اللعب.. أجمل لحظة ينتظرها بشوق وصبر وجلد وهي تتعرى قبالته كما ولدتها أمها ليتمتع بجمال جسدها المكتنز الخلاب.

قالت له نطفة وهي ترفع قليلا جفونها المثقلة بالغنج والدلال: أمرك مطاع سيدنا سيكون لك ما تريد..

بدأ اللعب، تعمدت الخسارة في جولتها الأولى لحاجة في نفسها.. فرح سيدنا.. عادت إليه ثقته بنفسه بعد أن كادت تهرب منه.

قالت له: لك ما تريد سيدنا.. لكن أغمض عينيك حتى أفعل ما تطلبه مني.. أغمض عينيه مثل الطفل البرىء، ينتظر من أمه شيئا يحبه، ليدخل على نفسه البهجة والسرور.

أي مفاجأة عظيمة ستغمر سيدنا، أي جسد ناعم تخفيه هذه العذراء الجميلة الساحرة تحت لباسها، وأي عنق وأكتاف وصدر ونهود وخصر وسرة وأرداف وسيقان.. أي روعة لهذا الجسد المتناسق الجمال حين يكون متجليا مثل قمر الليالي الرائعة.. من أين يبدأ تقبيله وضمه إليه من لوعة الاشتياق؟ صار يتشوق ويتحرق في لهفة عارمة ليفتح عينيه.

كان يمكن أن يسترق النظر إليها بفتح عينيه قليلا حيث يراها ولا تراه لكنه كان مثل الولد المؤدب الذي لا يعصي الأوامر ولا يخون العهد حتى تأمره أمه.. بينما هي كانت تنزع ثيابها خلف ستار وأرخت شعر ظفائرها الطويل المفتول فكان أن غطى جسدها كله من رأسها حتى أخمص قدميها. أمرته أن يفتح عينيه. لم يستطع من شدة الدهشة أن يفتحهما.. تمنى أن لا يفتحهما ليظلا مطبقين إلى الأبد ليعيش هذه النشوة التي لم يشعر بها مع بقية النساء والحريم، مثلما ظل أربعين سنة يحكم شعبا ولا يراه بعينيه. إنما تأتيه أخباره عن طريق تقارير الوزراء والجواسيس.

ما أقسى التجربة.

لا يريد أن يخوض تجربة قاسية مع جسد يبهره ولا يستطيع أن يستمتع به وبملذاته.. خيل للعذراء أنه سيبقى مطبقا جفونه أربعين سنة أو أكثر إذا لم تبادر إلى مطالبته بفتح عينيه.. اكتشفت أنه سيكون طيعا في يدها يؤتمر بما تأمره، أكثر مما كانت تظن.

– سيدنا.. افتح عينيك.. افتح.. رجاء..

كم كانت دهشته.. صدمة.. سواد في سواد كأنه لم يفتح عينيه. لم ير الجسد الذي كان يتمنى أن يراه دفعة واحدة.. شعرها يغطي جسدها كله ولا شيء يظهرأو يلمع منه.. شعر بالإحباط القاتل.. لم يفهم لم تفعل كل هذا معه..اكتشف أنه ليس قبالة إمرأة عادية.. ما طلبت هذا الشرط قبل أن تستسلم له في الفراش، إلا أمرا محيرا.. فهمت ما يدور في رأسه جراء خيبته.. تبسمت له كاشفة في خبث أنثوي جميل عن ساقها المرمري.. لمع مثل البرق واختفى، لينفجر رعده بعدها مدويا.. ثم ينتبه إلى نفسه ليتحكم في غضبه ويعتذر برفق.. وهو يبلع ريقه.. لا يمكن أن يفسد اللعبة حتى آخر المشوار ما دام قبل بها منذ البداية..

أصبحت اللعبة ممتعة ومسلية بما تخفيه من مفاجآت.

كان يفكر في طبيعة اللغز الذي ما زالت تخفيه عنه وتستعمله كحاجز دون الوصول إليها.

دعاها إلى اللعب ثانية، وهو عازم على مراوغتها وخداعها لكن حظه خانـــه هذه المـــرة فغلبته العذراء. شعر بخيبـــة لا مثيل لها.. أي حظ نحس هـــذا الذي يتربص به في حضرة هذه المرأة التي اختارها بنفسه واستغنى عن كل نساء الأرض من أجلهـــا..

لم يجـــد بدا من الامتثال لأوامرها وشروطها مهما كانت قاسية، لأنه سبق وأعلن في الناس أنها ستصبح حاكمة تشاركه تسيير شؤون الجمهورية ويجعـــل أيامها معـــه غير متشابهة، وقميص ليلتها يصبح راية جديدة للعهد الجديد. ولكن أي لغز ستطرحه عليه بعد أن غلبته في لعبة الدومينو؟

قالت نطفة في دلال: إليك اللغز سيدنا.. أتمنى أن لا يغيب عن فطنتك.. لتنال نفسك ما تشتهي.

قال سيدنا: هات اللغز.

قالت: «إذا انشق السما واش يلاقيه

وإذا نشف البحر واش يمليه

وإذا فقر السلطان واش يغنيه؟»

لم يجد سيدنا الجواب في الحين، تردد.. شعر بالحرج.. من أين جاءت بهذا اللغزالغريب..؟ قال لها:

هات لغزا آخر، دون شك سيكون لي الجواب.

قالت: هذا هو اللغز يا سيدنا إذا لم تجد الإجابة سأعطيك إياها في الحين. قال دون أن يعيرأدنى اهتمام لما يترتب عن ذلك.

هات جواب اللغز.
قالت: السما ما ينشق والملايكة فيه.
قال: صحيح.
قالت: والبحر ما ينشف والويدان تصب فيه.
قال: صحيح.
قالت: والسلطان ما يفقر والرعية تخدم عليه.
قال: صدقت.
أية خيبة أصابت سيدنا في مواجهة هذه الجميلة الفاتنة..
أية حيلة ستلجأ إليها بعد الآن لتثيره وتؤجج عواطفه وتؤجل اللحظة التي يجب أن ينسجما فيها على هذا الفراش الجمهوري الوثير. قالت العذراء نطفة لسيدنا:
بعد أن غلبتك سيدنا في لعبة الدومينو و لم تستطع حل اللغز. عليّ الآن أن أشترط عليك شرطي، أتمنى أن لا ترفض.
قال: هات شرطك.
قالت: شرطي الوحيد أن تحلق شاربك الطويل الذي تعشقك بسببه كل نساء الجمهورية، وتعيّر به رجالها. بعد اليوم، أريد أن أحبك وأعشقك وحدي، ولن تشاركني في حبك أي امرأة من بنات الجمهورية.
صعق سيدنا لما سمع الشرط الذي لم يكن في حساباتـــه. لم يكن يظن أنه سيتجاوز لعبة الشعر الممتعة. يا لدهائها، منذ قليل لعبت لعبتها بشعرها والآن تريد أن تلعب بشعره. شعر شواربه الأسطوري الذي يميز السلالة المباركة ويحفظ لها هيبتها

وسلطتهـــا. إنها لا تطالب بالمعقـــول. الحلق.. مستحيـــل.. يا للهول.. هذا غير مقبول أبدا.. شواربه رمز للسلطة والفحولة والسلالة، سلالة بني الأغلب الغالبون بفضل الله، التي ورثت الحكم أبا عن جد.. تذكرالأسطورة التي توارثتها الأجيال عن سيدي لخضر البوهالي الولي الصالح الذي هدم ضريحـــه غيرة وحسدا ليصرف الناس عن زيارته. لا يمكن أن يضحي بكل هذا من أجل نزوة غير محمودة العواقب.

آه نبوءة سيدي البوهالي.

ترجاها أن تطلب شيئا آخر غير هذا المستحيل الذي تطلبه.. مقاطعة من الجمهورية.. نصف الجمهورية.. كل الجمهورية التي لا يغيب عنها الرمل والضجر والكسل.. لكن نطفة العنيدة رفضت وأصرّت على شرطها ليقضي ليلته معها..

ذكرته بالجماهير التي تنتظر خلف الأسوار لحمل الراية من أجل العهد الجديد..

قالت:

- أعذرني سيدنـــا.. الغيـــرة وحب التملك نقطة ضعفي.. ما أنا إلا امرأة من غيرة. وهذا الشـــارب لا يضمن لي وفاءك لي.. وأنا لا أريد نساء الجمهورية يشاركنني فيك منذ هذه الليلة الرائعة.

استطاعت أن تعزف على وتر كبريائه وتتسلل إلى عصب سذاجة رجولته. على مضض قبل بشرط أن يستشير وزيره. لكن الوزير ما إن سمع موضوع حلق شارب سيدنا حتى أرعد

وأزبد، وطالب سيدنا بخنقها في الحين ورميها من النافذة بدل رمي قميصها والادعاء بأنها ليست شريفة.. أو الزج بها في غياهب السجن مع والدها ليأكلهما النسيان.

قال سيدنا:

- لا أستطيع أن أمسسها بسوء.. إنها المرأة التي أحبها قلبي..

قال الوزير:

- إنك بدونها حاكم الجمهورية.. وأخاف أن لا تكون كذلك معها.

ظن سيدنا أن وزيره تجاوز حدوده وتدخل في ما لا يعنيه فقال بثقة:

- لا أريد الحكم.. ولا أريد الرعية.. ولا أريد الجمهورية اللعينة كنت حاكما وكنت عبدا.

فقط أريد أن أكون إلى جنب حبيبتي نطفة ساحرتي الفاتنة.

قال الوزير:

- نعم إنها لساحرة.. سحرتك وأنت سليل السلالة الحاكمة.. سلالة بني الأغلب الذين حكموا الجمهورية منذ قرون وأفنوا أعمارهم في خدمتها والحفاظ عليها من كل سوء.

قال سيدنا:

- أخذت كل ما أريد.. وكل ما لي فيه حق وما ليس لي فيه حق.. أريد في هذه اللحظة التاريخية أن أتخلى عن أنانيتي وأنانية أجدادي بني الأغلب.. وأعطي هذه المرأة قلبي لتفعل به ما تشاء. سأكون لها عبدا حرا ما حييت..

قال الوزير:

– انها مؤامرة سيدنا.. يحيكها أعداء الجمهورية، وما هذه المرأة إلا جاسوسة استعملوها طعما لاصطيادك وإنهاء حكم السلالة الحاكمة الشريفة.

قال سيدنا:

– لا أريد سماع مواعظك.. أنا الآن أتنازل عن حريتي وأكون عبدا لمن اختارها قلبي.. أين الحلاق اللعين أحضره في الحين؟

حضر العجوز شعلان حلاق الأسرة الحاكمة مسرعا. كان يظن أن سيدنا يريد أن يمشط له شاربه قبل أن يدخل على عروسه، لكنه فوجيء به يطلب منه حلقه. ما كاد يسمع طلبه حتى سقط متهالكا على الأرض. الحقيقة كان قد فارق الحياة.

ولما كان سيدنا يتعجل العملية طلب من وزيره أن يحلق له شواربه.. لكن الوزير رفض بدوره.. انتحـــر في الحين بتناول مادة سامة.

تقدمت العروس نطفة من سيدنا مضمخة بعطرها الفواح ومدججة بأنوثة فاحشة.. حملت المشط والمقص وقالت لسيدنا:

– هل تسمح سيدنا.. سيكون لي الشرف أن أفعل ذلك بنفسي، حبا وتقديرا.

ما إن أنهت مهمتها حتى شعرت بالجدار الفاصل بينها وبينه ينهار بسرعة، بعد أن كانت تبغضه، اشتعل جسدها فجـــأة كما لم يشتعل مـــرة في حياتها، وجدت نفسها منجذبة إليه

أكثر، أعجبت بتنازلاته التاريخية وجدت نفسها بعد أن أنجزت مهمتها أسيرته هي الأخرى التحمت معه في قبلة بعد أن أشعلت أصابعه الناعمة فتيل الرغبة المدفونة في جسدهـــا منذ سنوات طوال.. جذبته إليها بقوة المغناطيس. وطلبت منه أن يمتطيها مثلما امتطى بقية نساء الجمهورية.. تردد قليلا و لم يجـــرأ.. قالت له هيا اركب وأرني فحولتك التي لن تشاطرني فيها بعد الآن نساء الجمهورية.. ارتجف سيدنا وبكى قال لها لا أستطيع يا حبيبتي، كل ما كان لم يكن حقيقة.

في تلك اللحظة تحول سيدنا إلى قط صغير بينمـــا أصبحت نطفة يمامـــة.

هـــذا كل ما في الحكايـــة. كان على شعب الجمهوريـــة العظيم أن يقف في الصبـــاح على الخرافة التي لن يصدقها ولن يصدقها أحد.

تمت بحمد الله
في القرن الأول قبل الخروج من التاريخ.
ألفها العلامة ابن خشد

فصل في أن السائح الصيني «نيهاو» لـم يكن إلا جاسوسا

أحبتي..

آه.. تذكرت الفصل الذي لم أجد له مكانا في الروايـــة، وشاءت الصدفة أن يكون خاتمة المسك جاء فيه:

أن سائحا بشوشا من بلاد بعيدة. يبدو من قامته وملامحـــه، أنه من الشعوب الآسيوية الصفراء القصيرة القامة الضيقة العينين. قد يكون صينيا أو يابانيا أو تايلانديا بهت بعد أن شاهـــد ما شاهده من أمر الحلقة التي نشطها الغريب المدعو الرفاعي حيث تسبب في تعطيل الناس وإلهائهم عن أشغالهم. الحقيقة أنه منذ وطئت قدماه تراب هذه الجمهورية المترامية الأطراف التي لا يغيب عنها الرمل والضجر والكسل والفساء، وهـــو يشاهد نفس السلوكات السلبية التي تعتبر في بلاده جرائم في حق الوطن يعاقب عليها القانون. وجد الأراضي بورا والمزارع مهجورة والمصانع معطلة والورشات خربة. ومراكز التعليم أصبحت اسطبلات للبغال والحمير ولقيلولة بعض الدواجن. بينما المدن مكتظة بالنساء السافـــرات والمحجبات والرجال وأنصاف الرجال والمخنثين وبائعات الهوى الساقطات يتسلون

جميعهم في الشوارع والقهـــاوي ويتبادلون الغـــزل والكلام الفاحش ويعبثون ويقتلون الوقت كما يقولون ولا أحد منهم يعمل ويكد. كلهم مهتمون بأشراط الساعة، ونهاية العالم، والدابة والمسيح الدجال، والحوريات وخمـــور الجنة. عندما يرتفع صوت المؤذن يهرولون مرائين إلى المساجد للصلاة.
تساءل «نيهاو» السائح الفضولي بينه وبين نفسه:
- كيف يرتزق هـــؤلاء الأقوام الذين يهدرون الوقت، بينما أسلافهم ضحـــوا بأرواحهم من أجـــل طرد الغزاة ليعيش وطنهم حـــرا؟
لم يجـــد الجواب. حـــاول أن يتخلص من علامة الاستفهام التي صدعت رأسه.. تقدم من أول شخص صادفـــه في طريقه. كان الهواوي ولد فلكاوي واحدا من أبنـــاء الجمهورية الذين يعيشون على السليقة. يستيقظ في الصباح يقف قبالة المـــرآة ساعة ليرضي نرجسيته ثم يغادر البيت يتصعلك في الطرقات. يلتقي الأصدقاء. يتبادل معهم آخر النكات الساقطة وحكايـــا حور العين وما يتداول من أخبار عذاب القبر وأخبـــار القيامة ثم يذهب إلى المسجد كلما سمع المؤذن يعلن عن وقت الصلاة ليعود في المساء ليركب زوجته في انتظـــار البضاعة ليأخذها إلى الســـوق.
سأله «نيهاو» الأسيوي:
- ماذا تعملون؟

أجابه الهواوي ولد فلكاوي بكل تبجح ووقاحة:
- نحن قوم خلقنا الله نعيش لنأكل وننكح النساء. لا نعمل ولا نكدح مثل الحمير. عملنا الوحيد في الحياة الدنيا الأكل والشرب والجماع وقتل الوقت في انتظارالآخرة. بالدومينو والدامة والحكايات الشيقة والنكت الطريفة. بعضنا لا يصلي وهو مؤمن. وبعضنا يصلي الأوقات المفروضة. وبعضنا يصلي النوافل. نحن نصلي طول النهار حمدا وشكرا لله تعالى.. هناك المقصرون يصلون خمس صلوات لأننا مسافرون إلى الحيـــاة الباقيـــة.. والمغالون أصبحوا يصلون خمسين صلاة في اليوم. امتثالا لأمر الله تعالى ليلة الإسراء قبل التخفيف..
قال «نيهاو» السائح الأسيوي قصير القامة ضيق العينين:
- لا شك أنهم يدفعون لكم أموالا مقابل الصلاة.
- الله يرزقنا من حيث يشاء.. وإذا كان الله يرزقنا لماذا نرهق أنفسنا في العمل الشاق؟ الأفضل أن نكرس مجهودنا للعبادة. وبعد العبادة نركب نساءنا ونحرثهن لينجبن لنا أطفالا. هذا هو عملنا: الجماع والصلاة.
- عندما تعملون تتحصلون على المال.
- لنفرض أننا حصلنا على المال؟
- تشترون بيوتا جميلة.
- وعندما نشتري البيوت؟
- تتزوجون.
- ها نحن متزوجون والحمد لله.

- تنجبون أطفالا.
- ها نحن ننجب الأطفال.
- تنفقون عليهم وتبنون لهم منازل مستقلة.
- وبعدها.
- تزوجونهم.
- نحن لا نزوجهم نحن نبيعهم ونتخلص منهم ومن أعبائهم، هذا هو عملنا وهذه هي تجارتنا، التي باركها الله.
- أما أنتم فتتقاعدون وترتاحون وتجدون هذا المال.
- لماذا نتيه في هذه الدوخة كلها ما دام الرزق مقدرا أيها الغريب، وكل دابة في الأرض على الله رزقها.
- نحن لا نجد سعادتنا إلا في العمل، لذلك، نحن نضغط على حكومتنا لتلغي أيام العطلة الأسبوعية وكل العطل الدينية والوطنية.
- أنتم (ربوات) وإني لأعجب كيف خلق لكم الله عيونا صغيرة واستطعتم أن تثقبوا الإبرة..
- قلت لك إنه حب العمل.
- الحمد لله الذي سخركم لخدمتنا، لنتفرغ لعبادته وشكره.

ضحك «نيهاو» السائح الأسيوي الذي لم يكن إلا جاسوسا صينيا أوفدته بلاده لاستطلاع أوطان بدون شعوب جادة. تملك الخيرات وتفتقد إلى حكمة التدبير لهجرة جحافل الصينيين الذين ضاقت بهم الأرض واتسع لهم أفق العمل والاختراع وحسن التدبير.

كانت النكتة أخطر تقرير سجله هذا الجاسوس في سجله الخاص ثم أبرقه إلى مسؤوليه. لما عاد إلى بلاده استقبلته وسائل الإعلام الرسمية بالترحاب لأنـــه أصبح يعرف باسم كرستوف كولومبس الصين الذي اكتشف بسرعة مذهلة أرضا فيها كل الخيرات وشعبها كسول لا يكد ولا يعمل.

لكنـــه فضل أن يذكرهم بالنكتـــة الطريفة فضحك وضحك الصحافيون الحاضرون وضحك الشعب الصيني كثيرا ودق الطبول لبداية تغريبة العصر.

تمت بحمد الله

- العلمة في: 25 ديسمبر 2009.

الفهـــرس

فصل في رواية ما جـــرى 07
فصل في تنبيـــه الخائف 14
فصل في ظهور سيد أحمد الرفاعي 28
فصل في نكبة ابن خشد 39
جمهورية الخراب 45
ما جاء في جمهورية الخراب
للفيلسوف ابن خشد رحمه الله.
فصل في وصف القرن الخامس خارج التاريخ.....47
فصل في ذكر أخبار أبناء السلالة ونسائهم 52
فصل في أن سيدنا حكم الجمهورية وهو في بطن أمه. ...56
فصل في أخبارالولي سيدي لخضرالبوهالي.....63
فصل في أن الأموات محسودون في الجمهورية.....69
فصل في أن سيدي البوهالي يشفي المرضى ويولد العاقر..72
فصل في حكاية «الزبنطوط»
وما جرى له مع النساء البايرات.....76
فصل في أن أبناء السلالة الشريفة لا يحفون شواربهم.....84

فصل في غضب «رجالة» الجمهورية 88
فصل في أخبار سنوات سيدنا العجاف..... 90
فصل في ما جـــاء في الفتوى الغريبة
لسيدي العياشي بوترعة مفتي الجمهورية 97
فصل في ذكر نونـــة عاهرة الجمهورية..... 102
فصل في أن عداد سيدنا العجيب
يحافظ على البيئة ويجلب المال للخزينة..... 107
فصل في أخبار «بوقريطة» مع القراصنة
وما جرى له مع سيدنا 115
فصل في أخبار الزيارة المشؤومة 124
فصل في ذكر مكيدة ستوت لنطفة عذراء الجمهورية .. 129
فصل في أخبارالسيد المهدي الإخجاني 137
فصل في قبول سيدنا شرط الفاتنة نطفة وهيامه بها 140
فصل في ذكر تأهب السيد الإخجاني
للإنتقام من سيدنا..... 144
فصل في أن سيدنا سيتزوج نطفة
بنت الشيخ الإخجاني 147
فصل في وصف ما جرى لأنصارالإخجاني 148
فصل في ذكر ما جرى لشباب الجمهورية 150
فصل في أن الحديد لا يفل إلا بالحديد 154

فصل في ذكر ما حدث في ليلة الحب
بين سيدنا وحبيبته نطفة 156
فصل في أن السائح الصيني «نيهاو»
لـــم يكن إلا جاسوسا 168

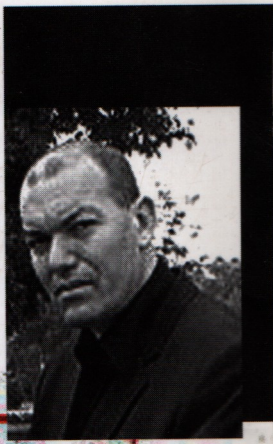

كمال قرور

قرأت هذه القصة العجيبة صباح اليوم في صحيفة يومية لم أصدق ما قرأت إنه شيء يشبه الخرافات ولكن المراسل الذي نقل الحدث يؤكد أن الحادثة لم تكن من نسج الخيال للتلاعب بعقول القراء لرفع عدد سحب الجريدة كانت حقيقة لا تشوبها الشوائب.

فجأة ظهر شبح شيخ غريب الاطوار في مدينة من مدن الجمهورية ....

صدر هذا الكتاب بدعم من
طار الصندوق الوطني لترقية الفنون والاداب

DL 2010-1099